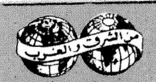
روايات





قلوب من جليد

La Puissance du Mensonge

روايات

عالمية

العدد رقم ٣٥٤

قلوب من جليد

تأليف: جوهان بوير
تعريب: محمود عبد المنعم

الفصــل الأول

(١)

بدا الظلام حينما عاد كنوت نوربى على متن زحافته ذات المقعد الواحد ، بعد أن حضر الاجتماع فى مجلس ادارة المدرســة . ولم يكن الثلج الذى انعقد فوق بحيرة ميوس ـ أكبر بحيرات النرويج ـ مأمونا منذ بضعة أيام . لقد وعد كنوت زوجته بأن يتبع فى عودته الطريق العام . ولــكن الهموم الكثيرة التى حلت به فى أثناء النهار أثارت اعصابه . فما ان وصل الجواد الى حافة البحيرة المتجمدة حتى أطلق له العنان ، واندفع فوق الجليد وهو يقول :

ـ لقد حمل الثلج كثيرين غيرى من قبل ، فهل يعجز عن حملى اليوم ؟ .

شد الجواد أذنيه وهو يخطو خطوات خائفة مترددة فوق الجمد فعاجله كنوب بلسعة من سوطه ، وانطلقت الزحافة تقفز فوق قمم الكتل المتجمدة ، حتى وصلت الى الصفحة المستوية الملساء .

يبدو ، عندما تتوالى الهموم والعثرات على الانسان ، ان كل ضربة من ضرباتها لا تصيب منه الا المكان الذى ناله العطب من قبل . ولقد حلت بكنوت العجوز فى ذلك اليوم هزيمة منكرة فى مجلس ادارة المدرسة الابتدائية ، أنزلها به مدير المدرسة اللعين . وبينما هو فى ضيق من هذه الهزيمة جاء اليه زوج ابنته يطلب منه فرضا

جديدا ، فاحس لساعته ان مؤامرة تدبر لابتزاز أمواله . وزاد به الهول حينما بلغ الى علمه بعد ذلك بلحظات ان وانجن قد افلس ، فأيقن ان خسارة تقدر بألفى كورون قد لحقت به نتيجة للضمان الذى منحه من قبل لهذا التاجر اللئيم .

واسودت الدنيا فى نظر العجوز ، وراح يخاطب نفسه قائلا :

ـ ان البث ان اراني مضطرا عما قريب الى اعالة نصف سكان البلدة .. هل للناس جميعا من هم الا سلب نقودى ونهب مالى ؟ .

كانت الزحافة معلقة الى جواد اسود كبير ، ذى عرف طويل مسدل ، وخطوات وئيدة راقصة . وقد اختفى العجوز فى داخلها رافعا حافة معطفه ، مندسا وسط فراء سميك من جلد الدب . وبدا الظلام يتراكم فوق صفحة الجليد ، وأخذت الأضواء تظهر متتابعة فيما يحيط بالبحيرة من قرى قابعة بين الثلوج الباهتة .

وتساءل كنوت عما سوف تقوله له زوجته عندما تعلم . وجاء الى سمعه رنين الأجراس المعلقة فى عنق الجواد ، وتطايرت من حوافره أتربة الثلج . نعم ، لقد وقع على عقد الضمان الذى تكفل به عن وانجن من غير علم زوجته . كان ذلك منذ ثلاث سنوات أو أربع مضت . لقد أراد بهذا العقد ان يساعد وانجن ليحصل على مزيد من الائتمان لدى أحد تجار الجملة فى العاصمة . ألم يكن قد وعد زوجته قبل ذلك بألا يضمن أحدا أبدا ، على أثر الخسائر الجسيمة التى لحقت به بسبب الضمان ؟ . فكيف ظنها به اليوم اذا علمت ؟ .

وعاد العجوز يسأل نفسه فى تعجب :

ـ كيف استطاع هذا الوغد ان يغرر بى يومئذ ؟ ! .

ولكن اليس لكل واع هفوة ؟ الا يضعف المرء حينا فتنال منه الشفقة ويستسلم للاغراء ؟ لقد حدث ذلك فى العاصمة كريستيانيا يوم ان دعاه وانجن الى وليمة فاخرة أولما خصيصا له فى فندق

كارل جوهان . وبعد الوليمة وقعت الواقعة . هاهو الطعام الدسم يكلفه اليوم ثمنا باهظا . لقد حنث نوربى بالوعد الذى قطعه على نفسه أمام زوجته . فهل يجرؤ على مصارحتها بالحقيقة المخجلة ؟ ان صدره يطفح بالغضب الشديد على وانجن الذى سبب له هذه المضايقات كلها .

زمجر نوربى قائلا :

ـ لقد كان يعرف ما يرمى اليه ، الوغد ، من دعوتى للغداء .

ثم راح يجمع فى ذاكرته سيلا من السيئات ينسبها لهـــذا الرجل ، متلمسا لنفسه من ذلك الأعذار ، متذرعا فى غضبته عليه بحق الدفاع عن النفس .

اسودت الظلال حول التلال المغطاة بأشجار الصنوبر ، وأضاءت النجوم فى الســـماء ، وانتشر على الأفق الغربى خط أحمر ظل يلقى باللهب على صــفحة البحيرة المتجمدة .. ويشع بريقا على القطع المعدنية التى تتخلل سرج الجواد وتتداخل فى هيكل العربة والى جوار الركب سار شبح طويل من الظل يلاحقه فى عدوه ولا يتخلف عنه خطوة . وفوق ثلج البحيرة انعدمت الحياة الا من رجل وقف وحيدا هناك على مبعدة ، حيث تلتقى مرآة الثلــج الحمراء بجلاميد الصخور المهشمة ، ينظر فى حفرة حفرهـــا فى الجمد ليصيب منها صيدا من السمك ، والا من نقطة سوداء نائية ، عند الحافة الأخــيرة للبحيرة ، تجر خلفها زحافة صغيرة فى اتجاه الشاطىء . .

وتزاحمت الأفكار القاتمة فى رأس نوربى ، وتذكر عدوه اللدود هرلوفسن ديرود وكيف سيسر لمصيبته ويشمت به . انه عنيـد فى خصومته ، شديد البأس على خصومه ، ولذلك يخيل اليه ان كثيرين من حوله يترصدون له متلمسين بلية تصيبه ليتشفوا منه ويهزأوا به . وفى كل مرة يواتيه الحظ ، ويعقد صفقة رابحة من أخشاب أشجاره ، يظل يردد فى سرور :

ـ انهم سيحسدونني .

أما اذا كانت الصفقة خاسرة ، فهـــو لا يندم على ما فاته من الربح ، ويقول :

ـ كم سيشمتون بي ! .

وصل كنوت الآن الى وسط البحيرة ، وتخطى المنطقة اللامعة من صفحتها ، وبدأ يدخل في المنطقة المعتمـــة . وجاء الى ســمع الجواد صوت أجراس ترن على الشاطىء ، فرفع راسه من غير ان يبطىء السير ، وصهل ، وانتابت الرجل العجوز رعدة وهو يفكر في امكان انهيار الجليد من تحته . وراح يخاطب نفسه قائلا :

ـ اذا قدر لك ان تهوى الى جوف البحيرة تحت طبقة الثلج فما ذلك الا عقابا لك على عدم ذهابك الى الكنيسة لأداء الصلاة .

وعاودته الوساوس وهو يحس الخطر الكامن تحت زحافته . هل يعود ادراجه الى الكنيسة ؟ هل تقتص منه السماء لمــا تهاون فيه من واجب نحوها ؟ لا بأس . سوف يؤدى هــذا الواجب اذا ما اجتاز هذا المــأزق ونجا من الخطر الذى يتهدده .

واخيرا وصل به السير الى بر الأمان . ووطأ جواده بحوافره الأرض الصلبة . فتنهد طويلا ، ونسى الوعد الذى قطعه على نفسه وراح يحث الدابة على العدو السريع . وانتشرت رنات اجراس الجواد وهو يندفع بالزحافة تحت اغصان الصنوبر التى اثقلتها كتل الثلج .

ها هو ذا الآن يمر أمام القرى التي تتلألا فى نوافذها الأنوار .. هناك فوق التل تقبـــع القرية التي يقطن بها ألد اعدائه هرلوفسن ديرود ، الذى يؤكد القوم أنه يفوق نوربى دهاءا وقوة ، وان مزرعته واملاكه تزيد كثيرا على ما ورثه نوربى وما اقتناه فى حياته الطويلة كم من مرة نظر نوربى من نافـــذة بيته فرأى على البعد المبانى

الواسعة التى تتكون منها مزرعة خصمه العنيد ، والغابة العظيمة المحيطة بها ، فيحتدم الغيظ فى صدره ، ويأكل الحقد فؤاده ، من هذا القزم الذى يطاول السماء برأسه ، ويحمل له الحسد والغيرة . فكيف اذا وصل الى علمه خبر الكارثة الجديدة التى حلت به ، والخسارة الجسيمة التى لحقت به بسبب افلاس الوغد وانجن ؟ لا شك أن الشماتة به ستجعله يرقص من الفرح . وعاد يفكر فى وانجن . وتذكر انه رآه مرارا فى العاصمة وقد نال السكر منه منالا . فأخذ يؤنب نفسه على ما أقدم عليه من مساعدة مثل هذا السكير .

وفى نهاية المطاف بلغ الطريق المؤدى الى مزرعته بمبانيها الضخمة القاتمة . نافذتان أو ثلاث فقط هى المضاءة من بين نوافذها العديدة . أقبل نحوه كلب أسود كبير يطلق نباحا عاليا ويقفز حول الجواد . وجاء عامل حظيرة الخيول يمسك فى يده فانوسا ليقود الزحافة الى حيث يفك الجواد ويعطى قسطا من الراحة . ونزل نوربى يتمطى وقد اجهده طول الجلوس . وألقى نظرة عجلى على يسار الجرن حيث يقوم البيت الصغير الذى يعيش فيه العجزة من عمال المزرعة والخدم الذين قضوا حياتهم فى الكد والعناء ولم يشأ ان يتركهم عالة على الآخرين .

ـ اطرح غطاءا على ظهر الجواد . وحذار أن تسقيه الماء فى الحال .

كانت هذه هى التعليمات المقتضبة التى القى بها نوربى الى العامل ، وصعد بعدها الدرجات المؤدية الى ردهة المنزل ، ممسكا السوط بيده ، يدق الأرض بحذائه ، وفى أثره يسير الكلب الأسود .

(٣)

ماريت نوربى ، زوجة الرجل العجوز ، امرأة متغطرسة ، تنظر شذرا الى نساء الفلاحين ، وتتعالى على غيرهن حتى لا ينظرن

اليها شذرا . دخل عليها زوجها وهى جالسة فى الحجرة الصغيرة المجاورة للمطبخ ، منهمكة فى « تريكو » بين يديه . فابتـدرته قائلة :

ـ لقد تأخرت كثيرا فى العودة .

ـ لقد طالت جلسة ادارة المدرسة .

وظل الرجل واقفا يفرك يديه فى مواجهة الموقد المشتعل .

ـ وماذا كانت نتيجة الاجتماع ؟ .

ـ فشل . كما هى العادة .

وخيل لنوربى ان فى عينى زوجته غمزة استهزاء ، فغضب . الم يكف ما صادفه اليوم من مضايقات حتى يلقى العنت من أهل بيته أيضا ؟ هـل هى مشفقة به ؟ وماذا يكون موقفها لو علمت بحادثة وانجن ؟ حـكت الزوجة راسها باحـدى ابرتى التريكو وقالت :

ـ حقا يا كنوت ، يبدو لى انك لا تحسن الدفاع عن نفسـك وعن آرائك ! .

ـ وانت أيضا ؟ ! أما هذا فلا .

هذه النبرة فى صوته تعرفها الزوجة جيدا ؛ فأسرعت تغير مجرى الحديث ، وعادت الى ما بين يديها ، وهى تقول :

ـ حقا . انت دائما طيب القلب برىء النية . وأولئك الذين لا يملكون شيئا ولا يدفعون ضرائب هم الذين يسيروننا ويصدرون لنا الأوامر . أما نحن فليس علينا الا أن ننحنى وندفع .

وجد نوربى فى كلمـات زوجته قليلا من العزاء . وبعد برهة قالت ماريت :

ـ علمت ، بلا شك ، الذى حدث لوانجن ؟.

أصابت العجوز رعدة ، ان زوجته لا يخفى عنها أى شىء ، وظل واقفا فى مكانه امام المـدفاة وقد نال منه الاعياء والعجز

عن النقاش بعد هذا اليوم الحافل بالصعاب وأحس بحاجة الى النوم وقال :

ــ نعم . بلغنى . من كان يظن ان الأمور سوف تتطور هكذا ؟

جرت على شفتيها ابتسامة فيها الازدراء وهى تقول :

ــ هل تذكر ، فى الفترة الأخيرة ، تنبؤاتك الكثيرة بذلك ؟ لقد أسعدنا الحظ اذ لم تكن لنا معاملات معه .

تنفس نوربى الصعداء ، فلم تكن زوجته تدرى شيئا مما وقع له . وزمجر وهو يقول :

ــ نعم . نعم .

وأراد الافلات من هذا الموقف . فأسرع الى الغرفة المجاورة وقد جاء الى سمعه صوت من داخلها . فوجد زوجة ابنه جالسة أمام وعاء فيه ماء ساخن ، وقد راحت تخلع ملابس ابنها الصغير الذى لم يجاوز السنتين لتغسل جسمه . وقف عند الباب ينظر الى الشابة الشقراء وهى فى شغل بشأن طفلها ، وابتسم ، ونظر الطفل الى جده وابتسم هو الآخر ، وحاول الافلات من بين يدى أمه ليلحق به . ولم تفلح الأم فى الامساك به . وبعد لحظة كان الغلام العارى جالسا على ركبتى الرجل العجوز يفتش فى جيوبه العديدة الى أن انتهى به الأمر الى العثور على الحلوى التى يحملها له دائما .

كان اسم الطفل ، بطبيعة الحال ، كنوت ، كاسم جده . وكان أبوه ، الابن البكر لنوربى ، قد لقى حتفه ، قبل ولادة الصغير ، عندما سقطت به زحافته فى حفرة عميقة وهو سكران . ومنذ ذلك اليوم استحكم العداء بين العجوز وبين الخمر .

وانفرجت أسارير وجه نوربى وهو يداعب حفيده ويناغيه . ولكن سرعان ما عاد الى ذهنه وجه وانجن ، وتذكر فعلته الآثمة فعاد اليه عبوسه . كيف يلاحقه هذا الوجه الكريه حتى فى عقر داره وهو بين أهله وعشيرته ؟ وازداد كرهه لوانجن الذى أفقده

ماله ، ووضعه موضع الحرج أمام زوجته ، وجاء الآن يفسد عليه أحلى ساعات حياته . واسرعت الأم الشابة تلتقط صغيرها وتضعه عنوة فى المـاء ، بينما العجوز يضحك ملء شدقيه . ولكن صورة وانجين لم تفارق خياله . لا ولا صورة مصنع الطوب الذى انشاه وكان سبب افلاسه ، عندما أراد فى الربيع المـاضى ان يطبق على العمال فيه نظام اليوم ذى الساعات الثمانى. يا له من غبى أحمق ! كيف جاز له أن يفكر فى مثل هذه المستحدثات الخطيرة ؟ لقد ظل العمل الزراعى مربحا ومريحا قبل أن يأتى هذا العلج المجنون بهذه الخرافة التى تدعو الى تحديد وقت العمل وقصر يوم العامل على ثمانى ساعات فقط . هل من عجب ان يفلس مثل هذا الأبله ؟ وكيف جاز له مع ذلك ان يطلب من الغير كفالة وضمانا ؟ .

لقد تجمع الغيظ فى صدر نوربى فقـام يذرع الغرفة ذهابا وايابا وهو يكاد يحرق الأرم ودارت فى رأسه صور وأحاسيس شتى .. اجتمعت الأسرة للعشاء فى الغرفة الصغـيرة المجاورة للمطبخ . وكانوا خمسة حول المـائدة : انجيبرج ولورا ، ابنتـا العجوز ، وقـد حفتا من حوله ، وجلست فى مواجهته زوجتـه ماريت تتدلى من عنقها سلسلتها الفضية ، والى جانبها زوجـة الابن المتوفى . وكان له ابن آخر — على قيد الحياة — يدرس علم أصول اللغة فى كريستيانيا العاصمة .

قال نوربى لابنته انجيبرج :

— أعدى لى الليلة ملابس الغابة ، اذ يجب أن آمر غـدا على العمال الذين يقطعون الأشجار هناك .

بعد العشاء اسرع العجوز الى فراشه ، واطفأ السراج ، وتثاءب طويلا ، ثم اعتزم ان يتظاهر بالنوم ليتحاشى كل نقاش بينه وبين زوجته حول سر المناولة والكنيسة والضمان . وبينما هو ينظر الى المدفأة المشتعلة ، فتح الباب فأغلق نوربى عينيه . لا . ليست

القادمة هى ماريت وانما هى انجيبرج ابنته ؟ وقــد جاءت تحمل اليه ملابس الغابة .. جلست الفتـــاة على حافة السرير وقالت لأبيها فى صوت خافت :

ـ أود أن أخبرك بشىء يا أبى . لقد سمعت اليوم فى مكتب البريد ان المحامى باستنج يفاخر بانك سوف ينالك ، انت الآخر اكبر ضرر من افلاس وانجن .. ولم اجرؤ على ذكر الأمر امام أمى قبل ابلاغك به .

كان العجوز قد اعتزم ان يستريح هـــذا المساء ، فرد على ابنته فى صوت يغالبه النوم :

ـ مسكين باستنج هذا ! لابد له من شائعة يشوش بها دائما.
ـ اذن لا صحة لمـا يقول ؟ هذا كان رأيى من قبل .

وانتصبت الفتاة واقفة وخرجت من الغرفة ، بعد أن جذبت الستر على النافذة ، والقت فى النار بكتلة من الخشب .

وأقبل الصباح وقبل أن ينهض نوربى من فراشه سألته ماريت:
ـ هل ذهبت الى الكنيسة ؟.

فأجابهـــا بالنفى ، فثارت عليه غاضبة مهددة بأنهـــا ستذهب اليها بمفردها . وأغلقت الباب خلفها فى عنف .. لم يتعجل العجوز النهوض . ففى كل مرة تغضب فيها ماريت مثل هذه الغضبة تظل صامتة طوال الأسبوع ، ويقوم بينها وبينه حاجز منيع يكبر على كل منهما أن يكون البادىء فى اجتيازه !.

بعد طول التلكؤ نزل نوربى الى فناء المنزل . واقترب منـــه عامل كان يحفر طريقا للمرور وسط الثلوج ، وقال له وفى صوته دعابة :

ـ هل من المعقول أن يرتكب وانجن تزويرا كما يقولون ؟.
ـ انه قادر على كل كبيرة .
ـ حقا . بل يقال انه توصل الى تقليد امضاء نوربى نفسه !

وانه يفاخر بأن نوربى قــــد كفله عند دائنيــه . ورجال نوربى يؤكدون لنا اليوم انه كاذب فيما يزعم .

ولم يجب كنوت بشيء على هذا الثقيل الذى يتدخل فيمــا لا يعنيه ، وانصرف فى طريقــه الى الجرن حيث كان فريق من العمال يدرسون القمح ويتزاحمون حول آلة الدراس .. اقترب منه احدهم وحدثه نفس الحديث عن التزوير الذى نسب ارتكابه الى وانجن وعما يشاع عنه بين الناس . ولم يجب العجوز بشيء أيضا . ولـكنه سمع ، وهو يهم بالانصراف ، أحد الفلاحين يقول :

ــ يا الهى ! لطالمـا قلت من قبل ان هذا الرجل سوف ينتهى به الأمر الى السجن .

رسخت هذه الكلمات فى ذهن كنوت ، فلو علم الناس انه هو الذى اطلق هـــذه الشائعة لنال منه وانجن كل منال ، ولأصبح سخوية للجميع . من الخير له اذن إن يكذب هذا القول وان يعلن الحقيقة على الملا . وفيما هو يفكر فى الأمر وقد دس يده وسط حبات القمح ، رأى من خلال باب الجرن حداد القرية يسير هنـــاك على الطريق ومخلاته فوق كتفه ، فسأل العمال :

ــ هل كان الحداد هنا الآن ؟.

واذ جاء اليه الرد بالايجاب أيقن نوربى أن الاشاعة لن تلبث أن تعم البلدة بأسرها ، وان من مصلحته العمل على ايقافهــا فى سرعة . لابد من حمل هذا الحداد الثرثار على الصمت بأى ثمن فانطلق فى طلبه وهو يقول لمن حوله :

ــ كنت أريده اليوم ليجرى اصلاح الزحافات .

وعاقه الثلج والركام عن اللحاق بالحداد . ولم تصل الى سمع الرجل نداءاته وصرخاته . كيف العمل والأمر أخطر من أن يتهاون فيه ، والا كلفه ذلك غرما آخر كبيرا . وأخيرا توقف الحداد عن السير برهة ليتحـــدث مع عابر سبيل ، سرعان ما انطلق كالريح منزلقا فوق حذاء الجليد يخترق التلال والوهاد فى سرعة الطائر المطارد . وابصر الحداد نوربى قادما فسار نحوه وقال :

ـ ما الخبر ؟ لقد ارتكب وانجن سفالة من سخائمه . لقد كنت ضحية له انا الآخر .. سرق مالى ، وهاندا مطالب مرة اخرى بدفع ما اوفيت له نقدا .

وخطرت فكرة التزوير فى ذهن نوربى ، فرد قائلا :

ـ هذا كذب ! ..

ـ كذب ؟ لا بل والله انه صدق كل الصدق .

تذكر نوربى الرجل الطائر الذى تحدث مع الحداد منذ هنيهة فسأله قائلا :

ـ هل تكلمت معه عن وانجن ؟ .

ـ بالتأكيد . ولم لا أحدثه عنه ؟ ما أسوأ الزمن الذى نعيش فيه ! ..

تصبب العرق على وجه نوربى وتحت قلنسوته ، فأخذ يمسحه بعصبية وهو ينظر الى الرجل الطائر هناك على البعد . كيف اللحاق به ؟ انه منطلق الى كل مكان والنبأ الذى يثير الحرج ينطلق معه ويذاع بين الناس . والفضيحة تنتشر ، ولا سبيل الى وقف سريانها . واخيرا قال الحداد :

ـ يبدو انك ناديتنى . هل تريد منى شيئا ؟ .

ـ كيف لا أريد منك شيئا ! . منذ شهور وشهور وعدتنى أن تحضر لاصلاح زحافاتى ، ولم تفعل . انك تحمل بين جنبيك الختل والنفاق . هل نسيت ما اخذته منى من مال ولم تعمل فى مقابله شيئا . مهلا . مهلا . سترى منى ما لا يسرك . سأقدم فى حقك شكوى اليوم .. حالا !

وانصرف نوربى حانقا بينما وقف الحداد مشدوها لهذه المفاجأة ويقول فى نفسه :

ـ لا شك ان التزوير الذى ارتكبه وانجن ليبتز منه الضمان هو الذى يثيره ويقلق باله .

وعاد يتابع سيره متثاقلا .

عاد نوربى الى بيتـه حائرا ، وهو يعجب كيف نشأت هـذه الشائعة حول التزوير المنسوب الى وانجن . وطال تفكيره فى الامر انه المسئول الأول عن انتشار هذه الشـائعة الـكاذبة . الم يكن حديثه مع ابنته فى الليلة الماضية يشوبه الغموض ويحمـل على الظن والتأويل ؟ لقد انتقلت كلمـاته المقتضبة من فم ابنته ، فى مطبـخ الدار ، الى آذان العمال والشغالة ، ومن أفـواه هؤلاء الى جميع سكان البلدة . ووانجن ؟ كيف يكون موقفه من هذه النميمة التى تلحق به اتهاما صريحا ؟ لاشك أنها فرصة سـوف ينتهزها لمقاضاة نوربى والانتقام منه .

وازدادت الحيرة فى قلب نوربى ، وتملكه الخوف . أيأخـذ بندقيته ويطلقها على الرجل الطائر فيحول بذلك دون انتشـار الشائعة ؟ وهل يجدى ذلك شيئا بعد أن وقع المحظور ؟ أم هل ينطلق فى أنحاء القرية يكذب ما يقال ، ويبدد اللبس ، ويعترف بالحقيقة المرة ، وبأنه وقع على الضمان فعلا ؟ ولـكن طوافا كهذا فى أرجاء البلدة الواسعة يفوق طاقته وجهده . واندفع ، وفى قلبه اليأس والغضـب ، يوزع التأنيب مع الاوامر على رجال مزرعته وخـدم بيته وفى رأسه خاطر يقول

ــ قد ينتهى الأمر بغرامة يحكم بها عليك ، أو قد تضطر الى نشر تكذيب فى احدى الجرائد .. أهذا هو الجزاء الذى يلاقيه المرء من اقدامه على مساعدة الأوغاد ؟ اضطراب بين صفوف الأسرة وفقدان للمال ، وذراية ألسنة الناس ، ومساس بالشرف ! !

اقبلت عليه زوجتـه على غير ما ينتظر ، فأيقن ان فى الأمر خطرا داهما ، ثم اعترضت سبيله وابتدرته قائلة فى صوت مرتعد :

ــ افهم جيدا أن تحاول اخفاء الأمر عنى . ولـكنى أسألك هل انت ذاهب لتقديم بلاغ ضده عند العمدة ؟ .

ــ عند العمدة ؟ . قطعا لا . لست الى هذا الحد مجنونا .

وتذكرت ماريت حنثه بالوعد فيما يتعلق بذهابه الى الكنيسة وأحست ان هناك شيئا يخفيه عنها ولا يريد ان يصارحها به .. فقالت متوعدة :

ـ اذن . انت لا تريد ان تشكوه ! ..

ثارت ثورة العجوز عند سماعه هذه الكلمات التى تحمل بين طياتها السخرية والتهديد معا ، فصاح فى زوجته :

ـ ماذا تريدين منى ؟ .

ـ أن تذهب الى العمدة ..

ـ اليك عنى ! اغربى عن وجهى ! اتركينى ! .

لم تهتز ماريت لهذه الثورة ، وانما قالت وهى تزمجر :

ـ لا بأس . أنا أفهمك جيدا . انك تفضل تبديد المال عبثا، حتى لو تعرى أولادك وجاعوا . سوف يصبح اللصوص والعجزة فى حل من استخدام اسمك وامضائك كما يحلو لهم ، وتنال انت الغرم كله . أم لعلك قد وقعت على العقد حقيقة ؟ وفى هذه الحالة سيقع الذنب عليك انت ايضا .

رنت كلمة «الذنب» هذه فى اذن نوربى ، وكان لها اليم الوقع على نفسه . فترك زوجته واسرع الى حجرته يحتمى بها . وبعد برهة سمع رنين أجراس الجواد ، وصوت الزحافة على الجليد .. فغضب .. ها هو متاعه ، وها هى جياده يتصرف القوم فيها بغير اذنه ! وراح يذرع الغرفة طولا وعرضا ســـاعة من الزمن ، القى بنفسه بعدها متعبا على احـدى الأرائك . وعاد صوت الأجراس الى سمعه ، ولم تلبث زوجته ان دخلت عليه وقالت :

ـ فى استطاعتك ان تلقى بى فى عرض الطريق ، ولكن مادمت عاجزا عن حماية مالك فأنا كفيلة بحمايتـــه عنك . لن يمر الأمر بمثل هذه البساطة . وبما انى أنا رئيس هذه المزرعة فقد عملت ما يجب على عمله . انى قادمة لتوى من عند العمدة .

ذهل كنوت نوربى ، وقام من رقدته ، وهو ينظر الى زوجتـه فى اصرار ويمسح رأسه ولحيته بيده ويقول :

ـ هذا غير معقول ! أنت قادمة من عند العمدة ؟.

ـ من الطبيعى ، مادام الرجال قد انعدموا فى هذا البيت ، فيجب على النساء ان يعملن ، لم أكن بغير مال عندما تزوجتنى ، ولا أرضى منك أن تبدد هذا المال وغيره هباء .

شحب وجه الزوج العجوز .. فلم يكن فى استطاعة زوجته أن تطعنه فى موضع من كرامته أكثر حساسية من هذا الموضع ، وهو الذى ضاعف بمهارته وحرصه الثروة التى حملتها له ماريت عند الزواج ، الى جانب تلك التى ورثها عن أبيه ، انصرفت ماريت بينما الرجل يكاد يتميز من الغيظ . ماذا يفعل ؟ أيجرى وراءها وينهال عليها باللكمات ؟ فقد أحس بأن الهدوء لم يعد له أى مكان فى بيته . وأخذت الأرض تلين تحت قدميه . ونظر طويلا من النافذة الى الثلوج التى تغطى كل شىء حول المزرعة . وراح يفكر فى أمره من وانجن اللئيم الذى أشفق عليه وبذل له العون .. فانقلبت عليه الشفقة وبالا ، وفقد ماله ، وزال الهدوء من بيته وأصبح مهددا بالهزء والسخرية فى أعين الجميع . أيذهب لتوه الى عمدة البلدة ويكذب الشائعات ؟ ان ذلك لن يعفيه من المساءلة أيقصد الى وانجن ويقدم له الاعتذار ؟ ان فى ذلك اذلالا له لا يرتضيه لنفسه . لابد من ايجاد مخرج ، اى مخرج ؛ ولو كان ملتويا لصون الكرامة والافلات من الضرر .

اقبل المساء والرجل العجوز مازال يفكر فى المخرج المأمول . ووصل اليه صوت حفيده . كنرت الصغير ، من الحجرة المجاورة . ان الضجر الذى به يصرفه عن رؤية الطفل وقضاء لحظات هنيئة الى جواره ، كما كان يفعل كل مساء . الا يمكن ان يكون لوانجن هذا من ضلع فى الحادث الذى أودى بحياة ابنه البكر والد الطفل الصغير ؟ . من يدرى ؟ . لعله هو الذى استدرج الشاب فى تلك الليلة المشئومة ، وأكثر له من الشراب ، فوقعت الواقعة ، وراح الابن ضحية ، وخلف له اليتيم الصغير .

وهكذا تزاحمت فى رأس نوربى الأفكار السوداء التى تحمله على مقت وانجن وكراهيته ٠

(٤)

نزل هنريك وانجن من القطار القادم من كريستيانيا ، وحقيبته فى يده ،وأسرع الى بيته من غير أن يقرىء أحدا التحية ٠ ان نصف سكان البلدة قد أصيبوا فى أموالهم بسبب افلاسه ٠ وهو يعلم ذلك ، ويعلم أيضا أنهم لو استطاعوا رجمه بالحجارة لما ترددوا فى ذلك ٠

سار الرجل كسير النفس ، بادى الاعياء ، رغم انه لم يجاوز الخامسة والثلاثين من عمره ، فقد ضل سعيه فى العاصمة لدى دائنيه من كبار التجار لانقاذه من الافلاس ٠ ولا بد له ان يخبر اليوم زوجته بالحقيقة المرة ٠

لقد نشأ وانجن فى أسرة متواضعة اتهم عائلها بالاختلاس ، ثم تزوج ابنة أحد كبار المزارعين رغم ارادة أهلها ٠ ولما توصل الى انشاء مصنع الطوب ، الذى كان سبب افلاسه فيما بعد ، أخذ أموال زوجته ، بل وتمكن بحديثه المعسول ووعوده البراقة من الاستيلاء على أموال حميه وشقيق زوجته وكثيرين غيرهما ٠٠٠

وفى أثناء اجتيازه الجسر المؤدى الى البلدة استوقفه رجل يدل مظهره الزرى على انه سكير مدمن السكر ، وقال له :

ــ اصغ الى ٠ لدى خبر أريد أن أقصه عليك ٠٠

ولكن وانجن كان يفكر فى امرأته التى تنتظر مولودها الرابع ، فاعتذر ، وألح عليه الرجل قائلا :

ــ لحظة واحدة ٠ يجب أن أخبرك بالنبأ ٠ هلا صاحبتنى الى هذه الحانة لنتحدث !٠٠

دخل الرجلان الى الحانة وأقبل عليهما الساقى يتلقى طلباتهما ، قال وانجن :

ـ شـكرا •• أنا لا أطلب شيئا • ولـكن ماذا كنت تريد أن تخبرني به •

ـ اجلس يا صديقي • يا الهي !•• يجب أن أعترف ان العالم أسوأ كثيرا مما كنت أظن ••

وأمسك الرجل بالكأس التي جاء اليه بها الســاقي ، وقال وانجن في لهفة :

ـ ماذا حدث ؟• هل وقع سوء لزوجتي ؟• في بيتي ؟•

ـ ما أكثر ما يحدث من أمور !•• ما قولك اذا سألتك عن رأيك •• مثلا •• في نوربي ، هذا الرجل الغني الكبير !؟••

ـ لا رأى لي فيه •• ولا في أي انسان آخــر • يكفيني ما أنا فيه من مشاق في عملي • يجب على أن أنصرف •

ـ انتظر !• لا شك أنه يحقد عليك ويحمل لك ضغينة ، لأنه في الحقيقة •• يريد أن يلقى بك في السجن بسبب ما أقــدمت عليه من تقليد امضائه •

انفجر وانجن ضاحكا ، وبغير وعي منه مد يده الى كأس مليئة وهو يقول :

ـ في صحتك !•• انها خمر طيبة !••

ـ لعلك لا تصدق ما أقول !• انها الحقيقة كاملة ، والله !•

ـ ما هذا الهراء الذي ترويه لي ؟•

ـ لك أن تقول ما تشاء •• حينما قلت لك ان العــالم الذي نعيش فيه مليء بالآثام !•

ارتعــدت فرائص وانجن ، وشحب لونه ، وأسرع يمســك بحقيبته وهو يقول :

ـ هل جاء أحد الى زوجتي يضايقها في بيتي ؟•

ـ نعم ، زارها في البيت رجل •

ـ العمدة ؟••

ـ نعم •

ـ لأني ٠٠ لأني ارتكبت تزويرا ؟

ـ هذا هو الذى حدث !!

وأحس الرجل السكير بسرور غامر أمام الاضطراب الذى بدا على وانجن ، حتى أنه نسى أن يفرغ ما فى كأسه ، بينمـــا طوح وانجن بملء الـــكأس فى جوفه ، ومد يده يطلب المـــزيد وهو يقول :

ـ اشرب فى صحتك ٠ اذا كان ما تذكره الآن حقيقة ، فانى أؤكد لك ان نوربى هو الذى سيذهب الى السجن ، وليس أنا ٠٠

ثم ضم أطراف معطفــــه حول وســـطه وانصرف مسرعا من الحانة ٠

(٥)

كثيرا ما يصطدم الانسان فى طريق حياته العادى بعقبة تضطره الى التوقف والتفكير ٠ وقد صادف هنريك وانجن عقبـة من هذا النوع حينما وجد نفسه فى حالة افـــلاس ٠ وقد ظهرت له حالة الخراب التى تردى فيها واضحة عندما عاد من كريستيانيا ٠ لقد قضى عليه كما قضى على الكثيرين معه ٠ وهذا بسبب عجزه وفشله واهماله وانصرافه الى الشراب بدلا من الالتفات الى ما فيه مصلحته٠ والآن لم يعد أمامه غير الجوع والنصب والحرمان له ولعائلتـــه ٠ ولكنه كان حسن النية فى كل ما صدر منه من أعمال ، ولم يكن قصده الا الخير والاصلاح ٠ ألم يأخذ بنظام العمل لمدة ثمانى ساعات فى اليوم بغرض اصلاح حالة العمال ؟٠ وكان هذا الابتـكار الخير سببا من أسباب افلاسه ؟٠ هل يكفى أن يأتى الانسان فى هـذا العالم بالأفكار النبيلة ؟٠ هل من الحكمة أن يكون كريما للغير وان ناله الضرر والعنت من وراء هذا الكرم ؟٠ لقد كانت شيمه الحسنة وبالا عليه ، وكان تفكيره الطيب الجرىء أكثر ضررا به من الخمـــر واللهو والاستهتار ٠ وغضب من نفسه كل الغضب ٠ غضب لنفسه ولزوجته التى أولته كل ثقتها ، ولأطفاله الأبرياء الصغار ٠

ها هو ذا يعود الى منزله بعد أن مر بالحانة وعلم بالخبر • وعجب لما يشعر به من هدوء ، فلم يعد رأسه منحنيا ولم تعد خطواته ثقيلة واهنة • ما سر هذا التغير الفجائي ؟• لم يعد يخشى أن يلقى زوجته وأن يعترف لها بالحقيقة • وتذكر الزوجة وزيارة العمدة ، فأشفق عليها وتخيلها في وحدتها بلا معين ولا مؤنس • وتحول غضبه ضد نوربى ـ هذا الأحمق ـ الذى لا يدرى أحد ما الذى يقصده من وراء هذه الشائعة •

دخل الى بيته وأسرع الى حجرة المائدة حيث كانت زوجته جالسة تنتظره للعشاء بعد أن أنامت أطفالها • انها امرأة معتدلة القوام جميلة الوجه لم تتجاوز بعد الثلاثين من عمرها • ها هي ذى فى مكانها هادئة صامتة وكأنها تسأله :

ـ هل هذا صحيح ؟•

لقد وضع وانجن خقيبته على الأرض ثم قال :

ـ عرفت كل شيء ••

وفجأة سمعها تنتحب وتقول :

ـ خيل الى أني سأصاب بالجنون •

وازدادت نحيبا • فظل وانجن واقفا والظنون تساوره • انها لم تسرع اليه لتعانقه • هل داخلها بعض الشك فى موقفه ؟• ولكنه بريء كل البراءة مما هو منسوب اليه • فخطا خطوتين نحو زوجته ، ووضع يده على كتفها وقال :

ـ كارين ! • قولى لى •• هل تصدقين حقا ما يقال ؟•

وساد صمت رهيب ثقيل الوقع على قلب وانجن • وبعد برهة أمسكت كارين بيد زوجها ، فأحس بالدفء والثقة ، وزال كل ما ساوره من هم وشك ، ونسى مضايقات زوجته والحاحها عليه فى رد نقودها التى بددها • انها الآن قريبة منه ، لصيقة به ، تمنحه القوة التى يفتقر اليها فى هذا الوقت العصيب • وتقدمت كارين من المائدة ، وقالت فى صوت خافت :

ـ هلا جلست للعشاء ؟٠ هل تريد أن أوقد المصباح الكبير ؟٠

ـ لا ، ياعزيزتى ٠ لا داعى للمصباح ٠

جلس وانجن ورأى على المائدة زجاجة خمر صغيرة حرصت زوجته على اخراجها من مخبئها فى هذا المساء بمناسبة عودته من السفر . فكان تأثره لهذه اللفتة عميقا . نظر الى كارين التى لم تأخذ مكانها على المائدة وقال :

ـ وأنت ؟٠ ألا تأكلين شيئا ؟٠ هل تعشيت ؟٠

ـ أشكرك ٠ ولكن لا أظن أن بى قدرة على ابتلاع لقمة واحدة٠

ـ بل ستأكلين ، يا كارين ٠ اجلسى ٠ هل تظنين أن سورين لا يريد أن يتعشى هو الآخر ؟٠

وسورين هو الاسم الذى اتفقا فيما بينهما على اطلاقه على الجنين المستقر فى أحشائها ٠ فابتسمت كارين لهذه المداعبة ، وبدا لهما ان فيضا من النور قد غمر الحجرة كلها ، وقد تبددت الأوهام والوساوس التى تثقل قلبيهما ، وأخذا يتحدثان فى هدوء عن مسألة نوربى ٠ قالت :

ـ من أين جاء نوربى بهذه القصة الماكرة ؟٠

ـ لابد أن ينجلى الأمر يوما ٠ اما أن هناك لبسا ، واما ٠٠

ـ واما ماذا ؟ ٠٠

وتشوشت الأفكار فى رأسه برهة عاد بعدها يقول :

ـ ان نوربى من هؤلاء الناس الذين يتعذر فهمهم جيدا ٠ ربما أطاحت بعقله تماما خسارة الفى كورون ٠٠

رفعت كارين نحوه نظرها فى عتاب ، فخشى أن يفسد الجو السائد بينهما ، فعاد يقول :

ـ انه على كل حال غبى كل الغباء ٠ هل نسى أن هناك شاهدا، وأن انكاره هذا لن يفيده شيئا ؟٠

اطمأن الزوجان بعض الاطمئنان عند ذكر واقعة الشهادة على العقد ٠ فلن يجد نوربى سببا لانكار امضائه ، ولن تثبت على وانجن

تهمة التزوير التى تنسب اليه ، تلك التهمة الخطيرة التى يتعرض بسببها للسجن • وتذكرت كارين أنها لم تعرف بعد شـــيئا عن نتيجة السعى الذى قام به زوجها فى العاصمة فقالت فى توجس :

ــ وكيف سارت بك الأمور هناك ؟• .

ــ يا عزيزتى ، ان أشد ما يقلقنى هو أن ثروتك •••

وتوقفت الكلمات فى فمه ، وفهمت الزوجة مدى الخراب الذى حل بهما ، وما ينتظرهما بعد اليوم من فقر وحرمان . فأحنت رأسها وعادت الى ذهنها صورة العمدة وهو واقف أمامها والعبـارات التى وجهها اليها • وتنهدت وهى تقول :

ــ يا الهى !• يكفينى أن تثبت براءتك من هــذا التزوير • أما ما عدا ذلك فلا خطر له ••

وترقرقت الدموع فى عينى وانجن وقال :

ــ لا. تقولى هــذا ، يا كارين • لقــد تحملت مسئولية كبرى أمامك • ويبدو اننى •••

ولم تنظر كارين الى زوجها ، وانما أدارت وجهها ناحية المصباح وهى تقول :

ــ كل شىء •• كل شىء قــد يصلح يوما ما ، ما دام الشرف مصانا •

كانت هذه الكلمات بلسما على قلب وانجن المعذب ، فهــدأت وساوسه قليلا ، وتبددت مخاوفه بعض الشىء ، وقام الى الحجـــرة التى يرقد فيها أولاده ليلقى عليهم نظرة وهم فى الفراش ، ويستمد من رؤيتهم القوة التى يفتقر اليها فى الكفاح، والشجاعة التى ينشدها ليواصل الحياة وليواصل الأمل • ثم عاد الى جوار زوجتــه بعد أن ألقى نظرة على كل طفل ومسح على رأسه وأصلح من غطائه •• قالت كارين :

ــ كم من الوقت ، فى ظنك ، سوف تتاح لنا فرصة البقاء فى

هذا البيت بعد اليوم ؟• هل تعتقد اننا قد نجبر على الرحيل منه قبل حلول موعد ولادتى ؟•

ـ لا • لم يجر حول هذا الموضوع أى حديث ••

وراح الزوجان يطوفان بأرجاء المنزل ، وهو يحمل فى يده المصباح ، وفى قلب كل منهما احساس بأن هذا النعيم سوف يسلب منهما بغير عودة ، ليجدا نفسيهما وأولادهما بغير مأوى وبغير استقرار • وبعد صمت طويل قالت كارين فى حزن :

ـ بعد الولادة ، سأحاول القيام بشئون البيت دون الاستعانة بخادم •

ـ وهل هذا معقول ، يا كارين ؟•

ـ من البديهى يا هنريك • هل قدرت ما قد يتبقى لنا لنعيش منه ؟•

وتذكر وانجن الوعد الذى قطعه على نفسه ، وهو عائد بالقطار ، بأن يعمل أى عمل ليوفر لها وللأولاد حياة لا عناء فيها ولا ضنكا •، ألم تمنحه كل شىء ؟• فلا أقل من أن يبذل من أجلها هذا الجهد •، ولكنه لم يذكر لها الآن شيئا مما اعتزمه ، واكتفى بأن قال :

ـ آمل أن تكون فرصة الاتفاق مع الدائنين ما زالت قائمة ••

واحتضن الرجل زوجته فى قوة وطوقها بذراعيه كأنما يريد أن ينقل اليها هذا الأمل الواهن ، وأن يبث فيها هذا الاطمئنان الخداع •، ومالت هى برأسها الأشقر على كتفه مستسلمة ، مكتفية من عرض الدنيا ببراءته من التهمة وبشرفه المصان • وطال بهما التجوال فى أرجاء البيت ينظران الى قطع الأثاث التى تحمل الذكريات • واذ أخذ منها العناء جلست على أحد المقاعد وقالت :

ـ لقد جاء أبى الى هنا أثناء زيارة العمدة •

ـ وما رأيه ؟•

ـ رأيه ان أهل البلدة جميعا سيعتبرونك مذنبا ، لأن نوربى رجل ذو سلطان • على أن أبى سيعود الينا غدا • ألم تعـــده بأن تحضر له من المدينة مبلغ العشرة آلاف كورون التى أعطاها لك من قبل ؟•

أحنى وانجن رأسه وارتسمت فى ذهنه صورة حميه ، بشعره الأبيض وعينيه الحادتين وجفنيه المحمرين ، ماذا سيقول لهـــذا الرجل العجوز غدا بعد أن ضاع منه كل شىء ؟•

وعادت كارين تقول :

ـ وهناك تلك الأرملة •• أنت تعرفها •• أرملة نورستاد •• لقد جاءت هى الأخرى • لقد قالت انك وعدتها برد نصف نقودها اليها بعد عودتك من كريستيانيا •

وازدادت الهواجس فى رأس وانجن عندما استرسلت زوجتـــه تقول :

ـ والأدهى من ذلك حال العمال • انهم معدمون لا يجـــدون شيئا ، ولا يرضى أحد باقراضهم ، فى هذا الشتاء القارص ••

وأوشكت الدموع أن تطفر من عينى كارين • فقد يحدث غـدا أن يأتى هؤلاء العمال الجياع ، قلقين على مصيرهم ، يسألون عما وعدهم به زوجها • وتخيلهم وانجن محيطين به مهـــددين • فسرت رعدة فى أوصاله ، وفقد ثقته فى براءته من التهمة التى يحـــاولون الصاقها به • وطال به التفكير وأخيرا انتصب واقفا وهو يقول :

ـ هيا بنا الى الفراش •• البرد شديد هنا •• كلما فكرت فى الأمر وضحت لى الأغراض الدنيئة التى تحرك نوربى ضدى وتحمله على السعى الى هلاكى •

ـ وكيف كان ذلك ؟•

ـ نعم • هذا الرجل طموح بقدر ما هو حقود • لقد فشل فى اعادة انتخابه لمجلس البلدة وفى اعتقاده بلا شك اننى أنا المسئول عن هذا الفشل !•

ـ يا الهى !• وهلّ هذا معقول ؟•

وتجسمت هذه الفكرة فى رأس وانجن وحلا له أن يتعلق بهذا الخيط الواهى لتأكيد براءته من كل ما هو حادث •• ودخل الرجل وزوجته الى حجرة النوم • ولكن الأفكار ظلت تتفاعل فى ذهن وانجن •• وأخيرا قال فى صوت خافت :

ـ هل علمت ؟ . هأنذا أدرك الآن السبب الذى حدا بنوربى الى اسقاط المشروع الذى كان يرمى الى اعادة بناء الكنيسة من الطوب •. لقد أراد أن يمنع عن مصنعى هذه الصفقة الدسمة ، ليستمر هو فى توريد الأخشاب من غاباته •

واختمرت هذه الفكرة الجـــديدة فى رأس وانجن • أليست العادة ، فى سائر أنحاء النرويج ، أن تقام المبانى كلها من الأخشاب؟ أو لم ينشب الصراع عنيفا بين مصانع الخشب ومصانع الطوب ، حينما تحولت الآراء الى استخدام المواد الصناعية الصلبة فى تشييد المنشئات ؟• بعد برهة عاد يقول :

ـ وافهم الآن أيضا لماذا انصرف عنى الكثيرون من عمــلائى فى الفترة الأخـــيرة • كان يجب أن يزول مصنعى من الوجود ليخلو المجال أمام كبار ملاك الغابات ؟•

ـ هل تعتقد ذلك حقيقة ؟•

ـ ثم هناك أيضا فكرة تحديد يوم العمل بثمانى ساعات • لقد ارتعب لها أغنياء هذا البــلد • نعم • نعم • بدأت أن أفهم كل شىء الآن •••

وهكذا راح يستخرج من غياهب خياله الأدلة على وجود مؤامرة تدبر خيوطهـــا ضده • وفى كل خطوة من هذا التفكير يحس وكأن جزءا من الحمل الثقيل قد انزاح عن كاهله • واسترسل فى البحث عن المزيد من هذه الأدلة • وأخيرا قال :

ـ والآن ، يا كارين ، بدأت أدرك لماذا فقد النـــاس هناك فى كريستيانيا الثقة التى طالما أولوها لى من قبل ، ولماذا أصبح من غير

المحتمل الوصول الى تسوية شريفة معهم • ان الشائعات تنطلق لهذا الغرض كى تلصق بى جريمة لم أرتكبها قط ••

– مسكين يا عزيزى هنريك ! . كيف جاز لى ، انا الأخرى ، أن أشك لحظة فى براءتك ؟• هل أطمع منك فى العفو والغفران ؟•

تأثر وانجن لهذه الكلمات الرقيقة ، فاحتضن زوجته ، وظل الاثنان واقفين ، وقد أسند كل منهما رأسه على كتف الآخر ، فى دفء وحنان ، بعد أن جمع بينهما ووحد بين مشاعرهما الاحساس بالظلم المحيق بهما ، والحاجة الى التساند فيما بينهما • ولم يعد يساور وانجن أى ندم على ما ضاع بسببه من أموال زوجته ، ولا على الخراب الذى حل بأبيها • سيستقبل حماه فى الغد مطمئنا راضيا ، ولن يخشى الأرملة لا ولا أسر العمال الغاضبين • فما من أحد منهم جميعا يستطيع أن يوجه اليه اتهاما • ها هو ذا يرثى لحالهم الآن ويشاركهم ثورتهم ، لأن هذه الثورة موجهة الى غيره ••

سألته زوجته :

– هلا دخلت الى فراشك ، يا هنريك ، لقد بدأت أحس بالبرد ••

– مهلا • أظن اننى سأخرج للسير فى البلدة ، فلا قدرة لى على النوم الآن •

– لا تطل مكثك فى الخارج • أنت تعلم انى بمفردى هنا ••

– اطمئنى ، يا عزيزتى •

ولكن القلق ظل يساورها ، بينما راح وانجن يسير فى الطرقات التى كساها الثلج تحت السماء التى انتشرت على صفحتها النجوم ، وقد دس يديه فى أعماق جيوب معطفه • وسار حتى وصل أمام بيت صديقه السكير ، فأحس بالحاجة الى الافضاء بما فى نفسه لأحد ، والحديث عما يدور فى ذهنه من اتهامات لنوربى • دق الباب ودخل وابتدره السكير قائلا :

ـ كيف ؟ كيف ؟ ألم يقبض عليك بعد ؟

وجلس الرجلان حول زجاجة خمر ، يتبادلان الحديث حول الموضوع الذى أقض مضجع وانجن . وأطلق هذا الأخير لخيالاته وأوهامه العنان ، وراح يصور المؤامرات التى تحاك له والاعداء الأقوياء الذين يترصدون به . وبعد أن انتصف الليل عاد وهو يترنح الى بيته ، ودخل على زوجته فأفزعها من نومها بما أحدثه من ضجيج .

وفي اليوم التالى انتابه صداع شديد ، وعاوده الخوف من مقابلة اولئك الذين يتوقع زيارتهم له ، وزال عن الدنيا فى نظره كل بريق من أمل ...

(٦)

مرت الأيام متتالية ولم يسحب نوربى شكواه . وبدأت الصحافة المحلية تشير الى موضوع التزوير ، فيزداد نوربى خوفا من المسئولية ، وعزوفا عن التدانى والاعتذار ، لما فى ذلك من مهانة له ، وتحقير لقدره فى نظر أعدائه العديدين وفى نظر أهل البلدة جميعا . لقد تجسم الخطر فى ذهنه ، وخيل اليه أن الناس جميعا لا ينظرون الا اليه ، ولا يتحدثون الا عن حكايته .

وجاء بعضهم يوما ينقل اليه ما يقال عن الفضيحة ، ويسأله جلية الأمر . فماذا يقول لهم ؟ حاول بادىء ذى بدء أن يهرب من الجواب المفيد ، وبعد ذلك خشى أن يكون فى هذا الهرب ما يزيد من التصاق التهمة به ، وأخيرا رأى من الخير ألا ينفى عن نفسه شيئا . فسواء أنكر ما يقال أم أيده ، فلن يغير هذا من الأمر شيئا ، الى أن تتاح له الفرصة للخروج من المازق بحيلة من الحيل .

وأصبح منذ ذلك الوقت يروى قصة التزوير وكأنها حقيقة وقعت ، وكان يرى الكلمات التى تخرج من فمه وهى تنتقل من شفة

لشفة وتطير منتشرة على البعد فوق الثلوج ، وفقد كل سلطان له عليها • واذ تيقن أن باب العمدة قد أغلق في وجهه ، رأى ان من صالحه استمرار الاشاعة وذيوعها • وصار فى كل مرة يقص فيها الرواية الكاذبة يجد من الضرورة أن يكـــررها ثم يكررها ليثبت صدقها ، ويتماسك حديثه ، رغم شعوره بأن هذا المارد الذى فتح له صمام القمقم بيده انما يكبر ويتضخم لينقض عليه فى يوم من الأيام • ولكن هل له أن يتوقف أو يتقهقر ؟• كلا • لقد أصبح كالمروض الذى لا يستطيع وهو فى مواجهة الوحش الضارى أن يدير له ظهره •

قالت انجيبرج يوما لأمها :

ـ مسكين أبى !• ان الشحوب يعلو وجهه • انه لا شك يشكو مرضا ••

قالت الأم :

ـ نعم يا ابنتى • انها تلك الحادثة التى تؤرقه • أعلم أنهــا ليست بالحادثة السارة • ولكن لا ذنب لنا فيها ، ووانجن لا يلومن الا نفسه فيما هو واقع له •

وضاعفت انجيبرج من عنايتها بأبيها ، وزادت من اشفاقهــا عليه بسبب ما يعانيه من هذا الأمر • انه فى نظرها خـــير الآباء وأطيب الناس جميعا • ولكن كم ذعرت يوم سمعت ما يردده وانجن فى أحاديثه من أن السجن سيكون من نصيب نوربى لا من نصيبه هو !• ولقد كانت من قبل تحس نحو وانجن هذا بشىء من الرثاء لأنه مدان • أما اليوم فهو فى نظرها أسوأ رجل فى العــــالم • وخشيت على أبيها الضرر والهلاك ، فأصابها الســـهاد ، وراحت تبتهل الى الله أن يقيه السوء وان يدخل على قلبها العزاء • وفرضت على نفسها الصلوات والتعبد وكبت الشهوات ، حتى انتهى بهــا الأمر الى الاعتقاد ان الله قـــد استجاب لدعائهــا ، وان أباها أصبح

محاطا بالقوى الحارسة ، وان وانجن لن ينال منه مطعنا مهما أشاع من الأكاذيب والادعاءات •

أقبلت ماريت على زوجها وهو فى حجرة مكتبه وقالت :

ــ ها أنت قد نسيت اليوم أيضا ذلك الاقرار الذى كان عليك أن ترسله •

وكانت تعنى الاقرار المكتوب الذى اعتزم نوربى أن يرسله الى التاجر الذى أودع وانجن لديه عقد الضمان ، ليطعن فيه بتزوير امضائه ، وينفى فيه التزامه بالكفالة المزعومة • قال العجوز :

ــ هل فى الأمر ما يدعو الى العجلة ؟•

ــ مضت ثمانية أيام والاقرار ما زال أمامك • لقد جاءت مكالمة أمس من عند التاجر تسأل عما تم فيه •

نظر نوربى الى الورقة المكتوبة أمامه • لقد تحدث عن التزوير الى أناس كثيرين ، ولكن اثبات اسمه على هذا الاقرار أمر جــد عسير على قلبه • ووقفت زوجته أمامه فى حزم ، فعاد يقول :

ــ هل يجب أن يتم ذلك الآن فورا ؟•

وامتدت يده تبحث عن نظارته • وأحس بالتصميم من جانب زوجته التى قالت :

ــ يجب أن أذهب الى مكتب البــريد ، واريد أن آخــذ هذه الرسالة معى الآن •

انها تخشى منه التردد والضعف ، فــزادت من حدة نظرتهــا اليه ، وغمس الرجل قلمه فى الحبر وهو يقول :

ــ ما أقسى هذا الأمر على نفسى !•

فهزت ماريت كتفيها وقالت معترضة :

ــ يجب علينا أن نسهر جيدا على أنفسنا وعلى أموالنا ، والا فما فائدة القوانين وما جدوى المحاكم ؟!

وبيد بطيئة خط في أسفل الاقرار امضاءه « كنوت نوربى » ·
وأرسل نظرة في أثر زوجته وهي تنطلق بالرسالة المطوية . قضى الأمر ، وسجل على نفسه الكذب · منذ اليوم لن ينبثق من اسم كنوت نوربى ذلك العبق الطيب الذى كان له من قبل ·

أحس نوربى بالتعب يشيع في أوصاله ، فاستلقى على احدى الأرائك وأغلق عينيه يطلب الراحة لحظة ، وفي ذهنه صورة وانجن الذى جر عليه كل هذه المتاعب ، وعلى لسانه لعنات لا عداد لها ضد هذا الوغد اللئيم · ورأى العجوز نفسه يقوم ويسرج جواده وينطلق به الى الغابة ليشرف على عمل رجاله هناك ، الذين يتولون نقل الخشب الى مخازنه · انه يسمع قرقعة الأشجار المتساقطة ويرى تلال الأخشاب المرصوصة على طول الطريق · ها هى عربة تظهر أمام عينه محملة يجرها جواد مجهد · ما هذا ؟· لقد أناخ الجواد على قوائمه وانزلقت العربة هاوية من عل ، وراحت العربة بالجواد والأخشاب تهبط متدحرجة على السفح الطويل مثيرة من حولها سحابة كثيفة من الثلج ، حتى استقرت أمامه على الطريق·!
وتميز العجوز غضبا حينما نظر الى العامل الجالس على العربة المنهارة ، واذا به يرى انه غريمه وانجن · فأقبل عليه بسوطه يريد أن يلهبه به ، ولكن وانجن استوقفه وقال له :

ـ كيف تريد اسناد التزوير الى يا نوربى ؟· هل دعواك سليمة ؟· وهل أوراقك فوق الشبهات ؟·

وأراد نوربى أن ينقض على الرجل ولكنه نظر الى أعلى التل فاذا بعربة أخرى تهوى هى الأخرى بحمولتها وجوادها وتستقر عند قدميه وينزل منها سائقها فيرى فيه وانجن مرة أخرى يقول له :

ـ أتتهمنى بالتزوير يا نوربى ؟· وأنت ، ماذا فعلت ؟·!

ورفع نوربى سوطه ثانية ليقتص من وانجن ولكن عربة ثالثة أقبلت تهوى من المرتفع · وتتالت العربات المتدحرجة وعلى ظهر كل منها جلس وانجن يؤنبه ويذكره باثمه · وطار صواب العجوز

وفر هاربا من المكان • وصادف وهو فى فراره خنزيرا صـــــغيرا يتمسح بالحـ ـ • فنظر اليه واذا بوجه وانجن يحتل مكان الوجه من الخنزير • وانطلق الرجل يجرى ، ودخل الى الحظيرة طلبا للنجاة واذا بالخيول والبقرات كلها تحمل وجه وانجن ، وتنظر اليـه فى ازدراء • بل ان كلبه الأمين نفسه تباعد عنه وكأنه يدرى من الأمر شيئا •

أفاق نوربى فى ذهول مما رأى • ولكنه سرعان ما استرد رباطة جأشه وقال يتعزى :

ـ لا تندم على شيء • اذا كان قدرك قد هبط فى نظر البهائم، فقد فزت على الأقل باحترام بنى الانسان •

ذلك ان أهـــل البلدة صبوا كل حقدهم على وانجن وأحاطوا نوربى بهالة من التمجيد والاعزاز • • واذا حدث وقام واحد منهم يدافع عن وانجن أسرع عشرون ينصبون من أنفسهم دعاة لنوربى ، يتغنون بخصاله ويطرون شمائله • وفى كل مرة يسير فيها فى الطريق تأتيه التحيات من كل مكان حتى ممن كانوا لا يحبونه من قبل ابدا • ما له وما تظن الحيوانات عنه ؟ • الا يكفيه كل هذا التبجيل والاحترام من الناس ! •

ولكن ألا يمكن أن يكون كل هذا الاحترام رياء ومداهنـة ؟• لابد لنوزبى أن يبدد هذا الشك فى نفسه وأن يجلو الأمر ليطمئن قلبه • وكان السبيل الى ذلك يسيرا • راح يطوف بأعيان البلدة يدعوهم الى وليمة يقيمها فى داره ، ويستظرف فى الدعوة فيقبلها المدعوون ضاحكين ، ويبتسم نوربى وهو يقول فى نفسه : « ماداموا يضحكون ملء أشداقهم ، فهم لا يشكون فى براءتى ! • »

وفى اليوم المعهود اقبل القسيس وزوجته ، واقبل الطبيب وكاتب المحكمة وقاضيها واقبل العمدة وغيرهم • وأخرج العجوز أوانيه الفضية النادرة وزجاجات نبيذه المعتق • ودارت الأطباق والكئوس بين المدعوين ، وعم البشر الوجوه • وأخذ نوربى يحيى

الجميع ويشرب انخابهم . ولم يكن للقوم من حديث غير القضية الكبرى .

بعد تناول الطعام تفرق المدعوين فى غرف البيت الواسعة يتجاذبون أطراف الحديث . واقترب العمدة من نوربى واسر له أن عقد الضمان قد وصل اليه فعلا ، وانه رآه بعينى رأسه ، وان امضاء نوربى عليه قلد تقليدا متقنا ، اما امضاء الشاهد فظاهر التقليد أيضا .. فقاطعه نوربى قائلا :

— هل تحدثت مع وانجن فى هذا ؟.

— نعم .. تحدثت اليه وهو يؤكد أن التوقيع على العقد حدث فى المقهى الكبير .

فقال نوربى فى ضميره :

« هذا كذب . كنا فى فندق كارل جوهان ! » وأفرغ العمدة الكاس التى كانت فى يده وعاد يقول :

— ان من سوء حظ وانجن ان شاهد العقد قد مات ، وما من أحد غيره يستطيع ان يؤكد انه رآك توقع العقد بامضائك . فضلا عن ذلك فهناك أناس عديدون تصلهم الآن مطالبات بمبالغ سبق لهم أن أوفوا بها الى وانجن . وهذا مما يزيد مركزه سوءا ، ويهدر كل اعتبار له من قبل ..

بعد منتصف الليل انصرف المدعوون وهم يثنون على الداعى ويطرون كرمه . واذ خلا البيت على نوربى راح يجوس بين الغرفات وهو يفرك يديه . فما زال القوم يكنون له الاحترام وينظرون اليه نظرة التبجيل التى عهدها من قبل . وقال يحدث نفسه :

— المقهى الكبير ؟ .. يا له من كذاب أشر ! .. انى لم اوقع أية ورقة فى هذا المقهى طوال حياتى . ما اكذب وانجن هذا !.

واستراح ضمير نوربى لهذا الكذب . فليس ما يدعيه وانجن عليه صحيحا . وما من أحد فى العالم يستطيع أن يدعى عليه

انه قد وضع امضـاءه على أية ورقة مكتوبة فى المقهى الكبير . أن قضيته صالحة اذن وشرفه فى صون وأمان ..

والقى نوربى بنفســه على احـدى الأرائك . وعندما جاءت زوجته والمصبـاح فى يدها لتدعوه الى الصعود كى ينام وجدته مســتلقيا مكانه وهو يغط فى نوم عميق وقد امسكت أصـابعه بالكأس فارغة ..

- ٧ -

على حافة البحيرة ، وسط اشـجار الحديقة الكثيفة ، يقوم البيت الصغير الذى تقيم فيه مدام سكارد أرملة مفتش الغابات . لقد امتنعت عن الاختلاط بالمجتمع بعد موت زوجهـا ،واكتفت بالعيش فى هدوء بين الأزهار وداخل حجرات بيتهـا الجميلة . وكانت ترى من وقت لآخر ساعيـــة الى زيارة المرضى الفقــراء ، حاملة اليهم الهدايا والعزاء . وكانت تبدو شـابة على الرغم من الأربعين التى تخطتها ، واليها ينسب التفكير فى انشاء أول هيئة لرعاية الشباب عرفتها البلدة . كما اشتهرت مدام نورا بدروس الحيـاكة والنسج التى تعطيهـا بالمجان لنساء القرويين اللواتى يرغبن فى ذلك . وكان لها طفل صغير يدعى جونار .

ان مدام نورا مغرمة بكل ما هو وطنى ، لذلك صممت على أن تطلق على بيتها الصغير اسم القصر التـاريخى الذى تردد اسمه كثيرا فى الأقاصيص النرويجية القديمة ، قصر ليدارند . ومنـذ ذلك الوقت أصبح لها غرام بألا يناديها النـــاس الا باسم نورا ليدارند . وعندما وصل الى علمها ما حل بوانجن من مآسى رثت لحالته واخذتها الشفقة بالأولاد .. انها تعرف مدام وانجن من قبل . ولذا تأثرت لسوء حظها وأصبحت لا تنام الليل من كثـرة التفكير فى

أمرها . وعلى الرغم من المعـاش الضئيل الذى تتقـاضاه ؟ ومن حرصها على ادخار بعض المال لابنها الصغير ، فقد رأت من واجبها أن تبذل لهذه الأسرة المنكوبة شيئا من العون .

لقد اختلفت الآراء حول الاتهام المنسوب الى وانجن ، وأيقنت مدام نورا ، بحكم خبرتها بالناس وطباعهم ، أن من أسباب تشديد النكير على وانجن المسكين هبوطه فى تلك الآونة الى الحضيض . وشاءت أن يكون لها رأيها الخاص فى هذه القضية ، من غير تحيز ومن غير تأثير خارجى ، وبالاعتماد فقط على ما تعرفه شخصيا عن كل من الرجلين المتنازعين . فلابد أن واحدا منهما هو الذى يقوم بالدور القبيح فى النزاع .

أما نوربى ، فقد عرف عنه نبل الطباع وحسن الخصال . هذا ما عرفته عنه مدام نورا ليدارند من قبل ، كما عرفت عنه شعورا وطنيا ظاهرا . أليس يشرف بقامته المديدة العريضة على الفلاحين الذين يزدحمـون فى أملاكه ، وكأنه من سـلالة ملوك النـرويج الأقدمين ؟. أليس يحتفظ فى مخازنه وفى بيته بمجموعـــة كاملة من السروج الأثرية والأوانى الفضـــية وعربات الثلج المزخرفـــة وأكواب البيرة النادرة مما يصلح كله للعرض فى المتحف الاقليمى الذى تعتزم مدام نورا ليدارند انشاءه فى البلدة ؟. وقد أثرت هذه الاعتبارات مجتمعة فى ذهن السيدة ، وحملتهـــا من غير أن تدرى على توجيه عاطفتها ناحية نوربى .

وأما وانجن ، فهـو ابن الرجل البسيط ، الذى عرف بعدائه للقرويين ، والذى ارتكب جريمة الاختلاس . وفى كل مرة فكرت فيه مدام نورا كان تفكيرها موسوسا بهذه الوصمة التى أورثها له أبوه .

ها هما نوربى ووانجن فى نزاع . فهل للتردد فى الاختيار مجال ؟. وهكذا حددت نورا ليدارند لنفسها رأيا فى الموضوع . ولم تشأ بعد ذلك أن تتعمق فى البحث الى أبعد من ذلك .

ومع ميلها الصريح لنوربى لم تستطع أن تصب جام حقدها واحتقارها على وانجن • بل على العكس من ذلك رأت انه قد أصبح ، بعد أن أخطأ ، أكثر حاجة الى الرعاية والعون • ولم تعرف للراحة طعما الا بعد أن قررت الذهاب الى بيت وانجن وأخذ أحد أولاده لايوائه لديها • أليس فى ذلك مثل تضربه لأهل البلدة ، حتى لا يقسوا فى الحكم على الانسان الضعيف الذى غلبته غواية الشيطان ؟•

ما ان انتصف النهار حتى خرجت نورا وسط عاصفة ثلجية عاتية ، واتجهت الى بيت وانجن لتنفيذ ما اعتزمته • وكانت السعادة تملأ قلبها رغم الرياح والمطر والبرد ، لأنها تقوم فى هذا الجو العابس بعمل الخير •

حينما وصلت الى بيت وانجن علمت أن كارين ما زالت نفساء فى فراشها • ولكنها دخلت عليها ، وغلبتها العبرات عندما نظرت الى هذه المرأة التى احتفظت لزوجها بحبها كاملا رغم كل ما لقيته بسببه من عنت وشقاء وهوان • وانحنت نورا فوق الزوجة البائسة تحتضنها ، فاختلطت بينهما الدموع والتأوهات •

تحدثت المرأتان طويلا قبل أن تعرض نورا اقتراحها • وعلى الرغم من الحيطة البالغة فى كلامها ، والعبارات المختارة التى استخدمتها ، غضبت مدام وانجن من هذا العرض ورفضته رفضا باتا • وأحست نورا عند انصرافها أنها لم تكن موفقة ولا على صواب فيما ذهب اليه تفكيرها •

عاد وانجن وعلم من زوجته بما حدث ، فوقف صامتا برهة وعلى وجهه ابتسامة الأسى ، ثم قال :

ـ ها هم اليوم يريدون حرماننا حتى من أطفالنا ؟!

ـ ولكن يا هنريك ، ألا تظن أن نيتها كانت طيبة فى الواقع ؟

ـ نعم • نعم • أعمالهم كلها تطفح بالنوايا الطيبة •• لقد

رأوا فى وجود أسرتى من حولى عونا ماديا وأدبيا لى ، فأرادوا أن أن يمنعوه عنى • ولكننى لم أكن أظن أنها هى الأخرى •

ـ هنريك !•• لا تظن أن أحدا منا يفكر فى التخلى عنك لحظة •

مال وانجن على زوجته يقبلها فى جبينها • ثم قام وهو يقول :

ـ سأنتقم لنفسى منهم جميعا •

اقترب اليوم المحدد لاجراء التحقيق ، وازداد قلق نوربى • فقد انتشرت الشائعات التى لفقها ، وذاعت على جميع الأفواه ، حتى أصبحت كالابن الذى كبر وفاق أباه قوة • وما زال نوربى يرى نفسه مضطرا على الاصرار فى موقفه والمضى فى الدور الذى ارتضاه لنفسه • أما أن يقف أمام القاضى ويحلف اليمين فهذا أمر آخر عسير عليه ، وطريق وعر لم يستغد بعد لسلوكه •

وكان يخاطب زوجته وهو يتقلب فى فراشه وقد لازمه القلق فيقول لها :

ـ ها قد عاودتنى أوجاع الروماتزم !•

لقد ارتكب ما ارتكب وهو يحس الآن بأن الصمت الذى يلتزمه أهل البلدة جميعا هو الصمت المريب ، الذى يتربص لينقض •

ولم يكن يشعر بالاطمئنان الا وهو يتحدث الى الآخرين عن هذه القضية القذرة ، ذلك أن الناس وقت الاصغاء لا يفكرون بأنفسهم ، وانما يفكرون بما يصغون اليه من حديث • والكذب يتطلب كذبا آخر ، وقد حرص نوربى على ألا يبوح بالحقيقة عفوا وبغير انتباه ، وخشى أن تنطلق منه الكلمات فى أثناء نومه حتى أوشك أن يهجر النوم تماما •

واقترب يوم الاستجواب ، وأخذ نوربى رغما عنه يبحث متلمسا الطريق الذى قد ينقذه من الحرج ، اذا ما اضطر الى المثول بين يدى المحكمة • ان كل ما سوف يعده لهذا الموقف العظيم لن يكون الا كذبا يضيفه الى كذبه السابق • هل يجد من نفسه الجرأة على هذا ؟•

نما الى علمه أن أحد جيرانه قضى نحبه فجاة ، فراح يفلسف الحياة شأن كل من يحمل فى حنايا قلبه هما مقيما • وسمع فى نفسه صوتا يقول له :

ـ الدور عليك هذه المرة يا نوربى !••

وفى مساء ذلك اليوم راح يتثاءب فى فراشه ، ويخاطب زوجته فى صوت حزين ، قال :

ـ ما أعجب هذه الدنيا !•• اننا نحن أبناء البشر قد يدهمنا الموت فى أية لحظة ، ومع ذلك لا هم لنا الا المشاكسة فيما بيننا ، وحقد كل منا على الآخر !••

تنهدت ماريت وقالت :

ـ لا • ليس فى الأمر أى عجب • ان الدنيا هكذا ••

ـ متى نفذ الواحد منا الى أعماق قلبه ، وفحص سريرة نفسه، وجد بلا شك أن أولئك الذين ينحدرون الى حد ارتكاب الجرائم ليسوا فى الواقع أسوأ كثيرا من غيرهم ••

ـ كلا • قد يفوزون بالنجاة اذا ما ندموا على ما صدر منهم ، وتابوا الى الله • هذا رأيى •

وساد الصمت لحظة بين الزوجين ، بينما الريح فى الخارج تعصف وتئن ، ثم تعود وتصرخ بين أغصان الشجن كأنها النادبات يبكين الموتى • ثم عاد نوربى يقول :

ـ أتدرين فيم أفكر ، يا ماريت ؟!•

ـ كلا •

ـ اذا ارتكب أحدنا اثما ، فهـــل نحن على يقين من أن آثار هذا العمل تزول بوفاتنـــا ؟. ألا يمكن أن تعيش تلك الآثار بعدنا طويلا وتظل تلحق الأذى بغيرنا ؟.

ـ نعم . نعم .

ـ واذن ، كيف يستطيع الرجل منا ، اذا أثم ، أن يجد الراحة فى قبره ؟.

اكتفت ماريت بأن قالت له ان عقلنا عاجز عن فهم هذه الأسرار، واستقبلت بوجهها الناحية الأخرى من الفراش ، وراحت تغط فى النوم . أما العجوز فلم ينم ، ولكن ظل يفـــكر .. يفكر فى أولاد وانجن وأحفاده .. الذين سيلاحقهم العذاب الى أبد الآبدين بسبب فعلة أبيهم الشنعاء .. ولكن هل ستكون الجنة من نصيب نوربى هل سيسعد فى الآخرة مع الأطهار المخلصين ؟ وخرجت من بين شفتيه كلمات تقول :

ـ رحماك ، يا ربى . هبنى العفو والمغفرة .

أقبل الصباح ولم ينم نوربى من الليل الا قليلا . نهض منهكا متهالكا . ولكنه صمم على ألا يترك لليأس سبيلا الى قلبه . خرج الى غاباته الواسعة يشرف على عمل الرجال هناك ، وهم يقطعون الخشب ويبعثون به الى مخـازنه . أكوام وأكوام مرصوصـــة من الأخشاب كلهـــا ملك له وحده . ومساحات من الأرض المنزرعة ، وآلاف من أشـجار الصـنوبر .. انه غنى .. انه أغنى أغنيـاء البلدة . ووقف الرجل ينظر الى كل هـذا الثراء العريض ، واذا بصوت فى أعماقه يهتف به قائلا :

ـ لو أن وانجن كان خصما جديرا بك !. لو أنه كان رجلا آخر .. هرلوفسن مثلا ؟. لكانت الخصومة على قدر المقام .. اما أن تجعلها بينك وبين هذا الرجل المحطم ، هذا البـــائس الذى لا يملك حتى الملعقة التى يحمل بها الطعام الى فمه !. لا يا نوربى.

هذا مما لا يليق بك !· ثم ·· بأى سلاح تحاربه ؟ انك حتى لا تحــاربه بسلاح شريف ·· انك تتسلل اليــه من الخلف غيلة ·. انك تنقض فى جبن على رجل مهزوم لتنال منه نصرا سهلا ··.

ود وانجن لو استطاع أن ينهال على نفسه لــكما · ولما عاد الى بيتــه أحس بنوبة برد وزكام وارتفعت درجة حرارته · فأيقن انه الانتقام ، وان منيتــه دنت ، وان الأثم الذى ارتكبه بدأ يعمل عمله · وقضى ليلته فى هواجس قاسية وخيالات مرعبة ·

أقبل الصباح كئيبــا وقد اعتزم نوربى أن يتخلص بغير رجعة من هذا الــكابوس المخيف ، وان يفلت من هذا النير الذى وضــعه بيده فوق عنقه · سيبدأ بذكر الحقيقة كاملة لزوجته ، ثم يتوجه الى العمدة ليسوى معه الأمر · استقر رأيه على هذا ، وحمد الله على ما هداه اليه ·

وما ان هم بمغادرة الفراش ، حتى دخلت عليه زوجته تقول :

ــ يوجد رجل فى فناء الدار ينتظرك ، وقد طال انتظاره ·

وظن نوربى أنه العمدة بلا شــــك · وأسرع يهبط الدرج ، ولكنه وجد المنتظر أحد العمـــال ، لارس كرنجن ، وقد جاء يريد محادثته · غضب اذ رأى أن تعجله فى ارتداء ملابسه وفى نزوله لم يكن الا من أجل هذا الانسان الذى لا وزن له فأشار اليه أن يتبعه الى غرفة مكتبه حيث جلس الى منضدته وقال :

ــ ما الذى تريده ؟·

اشتد به العجب عندما اقترب منه العامل ، وجلس فى مواجهته، ينظر الى وجهه فى اصرار ، ويقول :

ــ ان ما أقدم عليه الآن جد عسير على قلبى ··

ــ حسن ·· حسن ·· تكلم ·

ــ جئت أسألك ، يا نوربى ·· أود أن أعرف هل أنت مع الله فى هذه الدعوى التى بينك وبين وانجن ؟·

استمع نوربى الى هذه الكلمات فاغرا فاه ، مشدوها . كيف يجرؤ أحد عماله ، ممن يدينون بوجودهم لأريحيته وكرمه ، أن يجىء اليه ليسأله عما بينه وبين الله . ولم يستطع الا أن يضحك ملء شدقيه ، وان يميل الى الوراء فى جلسته . ثم تكلف الجد كله ، وقال للرجل :

ــ اذن ، ما وراءك ؟

وعقد الرجل يديه فوق العصا القائمة بين ركبتيه ، وقال فى غير اضطراب ولا وجل :

ــ أريد أن أرقد مطمئنا فى قبرى .. ولكن يصعب على أن أتقدم للشهادة ضدك أمام العدالة ، يا نوربى ..

ــ ماذا تقول ؟ هل أحد يدفعك الى هذه الشهادة ؟

ــ نعم .

ــ هل هو وانجن ؟ قدم اليك رشوة ؟

ــ بل هو الله الذى أمرنى أن أتكلم .

ساد الصمت برهة ، عاد نوربى بعدها يقول :

ــ وماذا عندك تقوله فى هذه الشهادة ؟

ــ لقد صاحبتك الى المدينة فى ذلك اليوم ، يا نوربى .

ــ متى كان هذا ؟

ــ يوم أن وضعت امضاءك على العقد .

تمالك نوربى حواسه ، ثم قال فى صوت مكتوم :

ــ أرى انك تخرف ، يا مسكين . عد الى بيتك ، والزم الفراش . فهذا خير ما يمكنك عمله . واعلم انك اذا ركبت رأسك وجئت أمام المحكمة ، فسأطعن فى تمييزك ، وأثبت عليك الجنون . والآن ، انصرف .

قام العامل يسعى الى الباب فى هدوء ويقول :

ـ الى الملتقى • لست أطلب ، أنا ، الا أن أنام مستريحا فى قبرى •

وظل نوربى واقفا واضعا يديه فى جيوبه وهو ينظر من النافذة، وقد تحول الى هذا الرجل الذى خرج لتوه كل ما كان يملأ قلبـــه من غضب وحقد على نفسه • كيف ؟ انها الطامة الكبرى أن يتدخل الناس فى أمر علاقته بخالقه !• وان يشكوا فى نقـــاء ضميره ، وبياض سريرته !•

فى المساء ، بينما الأسرة مجتمعة حول المائدة ، قالت ماريت وفى وجهها ابتسامة خفيفة :

ـ هل علمت النبأ ؟• يبدو أن أرملة ليدارند قد تحركت تريد بذل العون لوانجن •

ـ لا • لم يخبرنى أحد بذلك •

قالها بغير مبالاة ، ولكن صدمة قوية أصـــابته فى صدره • هل تتحول عنه هذه المرأة القوية ذات النفوذ الواسع ؟ وتنضم الى وانجن ؟ هل بدأ النـاس الآن يشكون فى ادانة وانجن ؟ كما بدأ بعضهم يشك فى صفاء العلاقة بينه وبين الله • ان ما بينه وبين الله لا يعنى أحدا غيره •• اما أن تسعى هذه المرأة بالعون والمساعدة الى وانجن !• لا • هذا أمر لا يطاق !• أليس من بين أصدقاء نورا الحميمين ذلك الرجل الغبى الذى يتولى ادارة المدرسة الابتدائية والذى أنزل الهزيمة بنوربى ؟ سينضم هو الآخر الى جانب وانجن •• سينتهز أعداؤه جميعا الفرصة ليتحالفوا ضده • انها مصيبة كبرى !•

علم بعد أيام أن المحامى باستنج ، خصمه العتيد ، سـيتولى الدفاع عن وانجن ، وانه لا ينوى أن يطالب بالبراءة فحسب وانمـــا أيضا بمبلغ ضخم على سبيل التعويض • كذلك بلغه أن وانجن ، على ما يبدو ، قد عثر على شهود يؤكدون أن نوربى قد دأب منــذ زمن على السعى للأضرار بأعماله •

وقعت عليه هذه الأنباء وقع الصاعقة ، فقد أصبح لا يدرى من أى جانب يتقى الضربات • وقال لزوجته :

ـ هل رأيت ، يا ماريت ، كيف بدأ الذئب يعوى فى الغابة !• ها قد انتهى الأمر بباستنج ، محامى النحس ، الى العثور على قضية تشغله بعد طول الفراغ •• كيف يجرؤ الأفاق على التمادى فى الكذب الى هذا الحد !• لا • لا • هذا كثير •• لم أعد أحتمل ، يا ماريت !•

ـ ألم أتنبأ بهذا من قبل ؟•

أصبحت قضية نوربى موضوع الحديث بين أهل البلدة جميعهم• وما من أحد الا وله تعليق على الأمر • وأحس نوربى أن التكتلات أصبحت تنتظم ضده • هل يأتى عليه يوم يرى نفسه وحيدا لا نصير له ، وقد اجتمع الكل على الفتك به ؟•

وجاءت اليه ماريت فى أحد الأيام تخبره أن سورين كفيكن ، الذى كان من قبل فى خدمة هارستاد ، شاهد العقد ، والذى يعمل الآن عند خصمه هرلوفسن ، له هو الآخر أقوال فى القضية • فاقسم لها ان هرلوفسن له ضلع فى دفع هذا العامل الى الادلاء بشهادته، لما بين الاثنين من منافسة عنيدة وخصام مستحكم • ولكنه شعر وكأن حملا قد انزاح عن كاهله • فلم يعد وانجن ، بعد حصوله على هذا العون الواسع والتأييد القوى ، خصما ضعيفا لا يليق به • لقد أصبح . بعد ان انضم هرلوفسن القوى الى صفوفه ، الرجل الذى يستطيع أن يقف منه موقف الند للنـد • بل ان الخصومة أصبحت ـ فى حقيقة الأمر ـ قائمة بينه ، هو نوربى العظيم ، وبين هرلوفسن العظيم أيضا ، الذى لا يقل عنه نفوذا ولا جاها ولا قوة •

وتواترت الشائعات يطلقها وانجن بغير حساب • منها ما يقول ان نوربى قد غشه وأنزل به الغبن فى احدى صفقات الخشب •• ومنها ما يزعم أن نوربى قد استحل لنفسه أموال احدى الأرامل

التى عين قيما عليها ·· كلها سهام مسمومه يرمى بها وانجن ، وهو فى ثورة غضبه ، فتصيب نوربى فى المواقع الحساسة منه ، وتضاعف من عناده ومن تشبثه بموقفه الشاذ · أليس فى ذلك الدفاع المشروع عن النفس ؟·

تجمع الغيظ فى قلب نوربى ، وأصبح بيـــده فى كل يوم فيض جـــديد من العزم والقوة · فراح يعـــد أسلحته ليـــوم الاستجواب ، يدبر الهجمات ، ويرتب الردود · ولم يعد الأمر فى نظره يتمثل فى قضية تنتهى بخصم ثبت الحق له وخصم ثبت الحق عليه · لا · انها موقعة لن تسفر الا عن منتصر ومهزوم ، موقعـة بينه وبين خصومه الالداء · وراح يبحث فى ذهنـه عن الاساءات التى ألحقها به فى الماضى كل شاهد من الشهود الذين يقال ان وانجن سيطلب سماعهم · وتفتحت فى قلبه الجراحات القديمة كلهـا ، وانصرف الى تعميقها وتضخيمها ، ليجعل منهـا أسلحة يستغلها ·

ومن عجب أن نوربى وجد فى هذه التطورات راحة لضميره ، وأصبح ، وقد نسى القرحة العميقة التى أدمت قلبه من قبل ، لا ينظر الا الى السحجات السطحية التى ليس لها ايلام · وعاد ينام ويأكل ويمرح مطمئن الضمير ، كالرجل الذى لم يرتكب جريمة واحدة من العشرين جريمة المنسوبة اليه ، وينسى أنه اقترف الحادية والعشرين · فيرى ان فى العشرين تهمة التى هو منها برىء ما يكفى لمحو اثر التهمة الوحيدة التى هو فيها مدان · أوليس فى ذلك العدل كل العدل ؟!

وراح نوربى ـ بنفس مطمئنة ـ يعد العدة ليوم الاستجواب·

الفصل الثانى

(١)

فى غرفة من غرف أحد الفنادق العائلية فى كريستيانيا ، جلس شاب يسند رأسه الى ذراعه ، أمام المنضدة ، التى انتشر عليها كتاب كبير ، جرى القلم الأحمر تحت بعض عباراته • انه اينار نوربى الابن الوحيد الذى بقى لكنوت نوربى بعد وفاة ابنه الآخر . وهو يدرس أصول اللغة ويستعد لاجتياز الاختبار الأخير .

كانت شمس الربيع الحارة تنتشر من خلال النافذة المفتوحة وضوضاء الطريق تملأ الغرفة •• ولم يكن الشاب يقرأ فى الكتاب فقام من مجلسه وأغلق النافذة ، وراح يذرع الغرفة طولا وعرضا ، وهو يمسح من وقت لآخر على جبينه بأصابعه ويتساءل :

ـ ما العمل ؟ لقد تغيرت الأوضاع تماما الآن !.

انه شاب طويل نحيف اشقر الشعر فى حوالى الخامسة والعشرين من عمره . واذا كان قد ظل حتى هذه السن من غير أن يحصل على الأجازة العلمية التى يسعى الى نيلها فليس هذا كسلا منه . لقد بدأ بدراسة اللاهوت ليصبح قسيسا ، ولكنه تحول الى دراسة أصول اللغة بعد أن قام برحلة لمدة عام كامل فى الخارج البلاد .

لقد جاءته منذ أسبوع رسالة من أمه تخبره فيها بحادثة التزوير التى ارتكبها وانجن ، ودهش لهذا النبأ كثيرا . فهو يذكر ـ كما لو كان الأمر قد حدث بالأمس فقط ـ أن أباه جاء اليه يوما منذ ثلاث او أربع سنوات ليقول له :

ـ فى ظنى ان وانجن قد غرر بى ..

ولقد روى اليه ابوه فى ذلك اليوم مسألة الضمان الذى وقع عليه ، وطلب اليه الا يذكر عن الامر شيئا لأحد ، حتى ولا لأمه . وكان هذا التحذير هو الذى لفت نظره يومئذ ، وهو بلا شك الذى حفظ الأمر فى واعيته طوال هذه السنين .

ما العمل ؟ ربما كان فى الموضوع لبس ! ومن ثم فلا سبيل له الا أن يكتب لأبيه ..

لقد جاءه الرد اليوم وفيه يقول الأب لابنه أن ما يتحدث عنه فى رسالته هراء ، وان علاقة ما لم تقم بينه وبين وانجن ابدا ..

هراء ! لا . لم يكن هراء هذا الذى تحدث عنه فى رسالته الى أبيه . ليس فى ذلك خطأ . وكلما أمعن الشاب فى التفكير عادت اليه ذاكرته واضحة امينة . ما العمل الآن ؟ ايصدق اباه ؟ أم يصدق ذاكرته ؟ أى موقف يتخذ لنفسه وقد ذكرت له أمه ان وانجن لا يجد من يشهد له : ووانجن بلا شك برىء .

لم يبق على موعد الاستجواب غير يومين أو ثلاثة ، والأب يؤكد أنه لم تقع قط أى علاقة عمل بينه وبين وانجن ! هل نسى الأب ما حدث ؟ هل خانته ذاكرته ؟ واذا حدث وصدر الحكم على وانجن بالادانة ، وهو بلا شك برىء ، هل يقدر لاينار بعد ذلك أن يحظى فى حياته كلها بيوم واحد من الهناء ! .

احتار الشاب فى أمره . هل يعود الى البيت ليذكر لأبيه ما يخالج نفسه ، وليحدث ما يحدث ؟ قد يغضب الأب ، ويثور عليه ثورة عارمة .. وكيف يكون الحال اذا ما اضطر الى اداء

الشهادة ضد ابيه ؟ ان التفكير فى هذا الأمر يورثه الدوار . فأمامه فى جانب يقف أبوه ، وفى الجانب الآخـــر يقف ضميره يدفعه الى التزام العدل . ها هو صوت الضمير يصرخ فى أعماقه قائلا :

ــ انها لشديدة عليك . يا اينار ، أن ترتفع بنفسك الى ما فوق الاعتبارات العائلية .. هل كنت لتتردد لحظــة لو أن الأمر تعلق برجل آخر غير أبيك ؟ كن كما يجب ان تكون ، وعلم الناس كيف يكون سلوكهم فى الحياة .. اطرح الاعتبارات العائلية ولا تخونن ضميرك كما يفعل الخائنون . ألم تكن فى ندوات الطلبة اشـــدهم حماسا ، واكثرهم تنديدا بالرجال الخائنين الذين لا ضمــير ولا خلاق لهم ، والذين لا يصدرون فى اعمالهم الا عن الغواية والهوى؟ لا تجبن يا اينار ، ولا تترك للضعف ســبيلا الى قلبك .. فليس عليك من حرج أن تؤدى الشهادة ضد أبيك ، ما دمت فى جانب الحق والصدق .

لقد عرف اينار نوربى بين اصدقائه بالقسوة فى الحكم . فهو من شباب هذا الجيل الذى فتح عينيه على الحياة العامة بما فيها من كدر وعيوب . فراح ينظر باحتقــار وريبة الى الرجال الذين اثاروا فيهم أثناء الطفولة الاعجاب والحماس بالباطل . ولذا لم يجد لنفسه سبيلا الى الفرار ولا مهربا من الاختيار بين أن يرضى بأن يجبن بالخنوع أو أن يصوب الى أبيه . فصوب [illegible] على رؤوس من أحبهم جميعا .

هل يستمع الشاب الى هذا الصوت الآخر الذى جاء يوسوس اليه قائلا :

ــ ما شأنك بهذا ، أيها الغبى ؟ لم يبق لأبيك غير ابن واحد ، وها هو ذا يسعى الى الالقاء بأبيه فى غياهب السجون ! ما الذى تعرفه عن هذا الأمر ؟ أنت تتخيل انك تذكر شيئا ! وابوك ؟ هــلا يذكر ما يفعله ؟ هل من عادته أن يرتكب المعاصى ؟ عليك بما يعنيك وحدك ، واترك للمحاكم ما يعنيها ، والتفت الى ما أنت فيــه من دروس ..

واختلطت الأصوات في رأس الشـــاب ، صوت الشـــيطان الوسواس ، وصمت الضمير الحي أحـــدهما يدفعه الى الاستكانة والجبن والآخر يحدثه عن الواجب والبطولة والحق ، وتاه اينار في بحر خضم من التفـــكير • وتغلب صوت الضمير • انه لا يريد في مستقبـــل أيامه أن يسير مطأطيء الرأس ، مجروح الكرامة ، مثلوم الضمير •

ونظر الى ساعته ، سيقوم القطار بعد لحظات ، وأسرع يعد حقيبتـــه ، وعاد اليه الوهن • فقد يركب أبوه رأســـه ويرفض الانصياع الى ما يطلبه منه • فكيف يكون تصرفه في هذه الحالة ؟ من الخير أن يستعد سلفا لـكل ما قد يحدث من تطورات ، ما دام قـد اراد لنفسه التدخل في هذا الأمر • وارتسمت في مخيلته صورة ابيه العجوز ، والمزرعة الشاسعة تحت اشعة الشمس ، في الصيف ، والمروج المخضرة المتماوجة ، والغـابات المتراميـة فوق سفوح التلال • تتابعت هذه المناظر سريعة في خياله • هل يؤدي الشهادة ويقطع كل علاقة له بعد ذلك بأسرته ؟ هل يفتح بيده باب البيت الذي نشأ فيه ، للشقاء والآلام والدموع ؟•

سقط على أحد المقاعد وهو يتنهد ويقول :

ــ لا • لا أستطيع •

(٢)

قبل حلول موعد الاستجواب بيومين قال القس بورنج لنفسه :

ــ ليس مما يليق أن يظل الخلاف ناشبا بين هذين الرجلين الشريفين • لعل من الممكن القيام بصلح يزيل النزاع ويعيد الصفاء الى القلوب •

وكان القس رجلا كريم الخلق متحرر التفكير • قال لزوجته :

ــ سأغادر الدار في جولة قصيرة • .

ــ هل يوجد مريض ؟•

ـ نعم .

ـ أين هذا المريض ؟.

ـ هناك في مصنع الطوب .

وخرج القس متدثرا بمعطفه الرمادى السميك ، ووصل على متن زحافته الى المصنع الذى توقفت مداخنه عن ارسال دخانها واغلقت ابوابه ، وبدا في منظر محزن كئيب .. الى جوار المصنع مازال وانجن يقطن في بيته الجميل الصغير . دخل بورنج واستقبله وانجن بوجه شاحب وعينين ذابلتين وجسم هزيل . وقال للقس :

ـ مات مولودنا الأخير هذه الليلة . لاشك انه من اثر الرضاع المسموم بعد الذى قاسته الأم من أشجان خلال الاسابيع الأخيرة.

ظن القس ان وانجن يريد بهذه الكلمات ان يحمل نوربى وزر هذا المصاب . ولكنه اسرع يقول :

ـ يا عزيزى وانجن ، هل لك في خدمة حقة تؤديها الى قسيسك العجوز ؟. تعال معى فى زحافتى ولنذهب معا الى نوربى ..

ـ انتفض وانجن ورفع يده الى راسه وقال مستنكرا :

ـ الى نوربى ! .

ـ نعم . سنحاول انهاء هذا النزاع ، يا عزيزى وانجن .

ابتسم وانجن ابتسامة باهتة ولمعت عيناه وهو يقول :

ـ أخيرا . عرف الخوف سبيله الى قلبه وها هو الآن يوفده الى القس ! .

هز القس راسه وهو يقول :

ـ انى قادم من تلقاء نفسى ، يا صديقى . واعلم ان البرىء وحده هو الذى يبادر الى العفو . فاثبت براءتك . تعال معى الى

نوربى وساقول له انى أريد أن اتحدث اليه فى حضرة وانجن ،
وسنجتمع ثلاثتنا فى غرفة واحدة ، وساحدثكما قائلا :

ــ لماذا يسعى كل منكما الى الزج بالآخر فى السجن ؟
كلاكما مخطىء ومذنب . ليمد كل منكما يده الى أخيه ، ولتوقعا أمامى ما يفيد رغبتكما فى انهاء كل نزاع ، وطى هذه الصفحة الأليمة الى الأبد .

وسامر بعد ذلك على الناس فى البلدة لأعلن عدم وجود نزاع بينكما ، وان وانجن ونوربى لا يريدان ولوج ابواب المحاكم ، ولا ان يتدخل احد فى شئونهما ، وانهما قد سويا معا كل شيء . ولن يلبث الناس أن ينسوا كل ما حدث . هيا ، يا وانجن ، تملك أعصابك وتعال معى .

ولكن وانجن جلس على أحد المقاعد وابتسم ابتسامة فيها التردد ، وقال :

ــ ومن الذى يدفع الألفى كورون التى ضمنها نوربى ؟.
واسقط فى يد القسيس . لقد فاتته هذه النقطة ، فلم يعد لها الجواب . واخيرا قال :

ــ طبيعى ، طبيعى . ولكن ، يا الهى ، ان هدوء البال يساوى اكثر من الفى كورون ، خصوصا مع احتمال دخول السجن ..
ساقول لنوربى :

ــ اضمن وانجن اليوم ، ان لم تكن قد ضمنته من قبل ، وادفع هذا المبلغ ، فهو لن يؤثر فى ثروتك .

وانا على يقين من أن نوربى سيعمل ما يجب عليه عمله .

ولكن وانجن قفز من مكانه وهو يقول :

ــ لا . هذا مستحيل . كيف اذل نفسى واطلب العون من رجل حنث بالوعد ، بعد أن قطعه على نفسه !. لا ... مستحيل .
مستحيل . ماقولك أنت فى هذا ياسيدى القس بورنج ؟ هل يرضيك ان

يعمل نوربى على خرابى ؟ وعلى اهدار كرامتى ، وعلى الوصول بزوجتى الى حافة الجنون ، وان يكون على انا بعد ذلك ان اسعى اليه لتسوية الأمور ؟ لا . ان لكل شىء حدودا .

ــ لا علم لى بمن هو المذنب منكما . على المذنب ان يبحث عن طريقه الى الله ، وأن ينال منه العفو والرضاء . فهذا من شأن العبد بينه وبين ربه .

انطلقت من فم وانجن ضحكة ساخرة وقال :

ــ كلام جميل ، يا سيدى القس . اذن ما فائدة العدالة ؟.. وما فائدة القوانين ؟ هلا وضعت نفسك للحظة مكانى ؟ لقد جازفت بثروتى وثروة زوجتى فى اقامة صناعة فى هذه البلدة .. وسارت الأمور على خير وجه ، طالما لم يكن فيها ما يمس نوربى أو يضايقه ولكن بمجرد أن أستقر فى ذهنه أن مشروعى قد يهدد مصالحه أشاع ضدى من الأكاذيب ما أدى الى قطع كل ائتمان عنى ، والى عرقلة كل محاولة للتسوية بينى وبين الدائنين . ولم يكتف بخرابى الذى اصبحت به عاريا أو اكاد ، بل راح يحاول ثلم شرفى والقائى فى السجون . فهل تظن يا سيدى اننى أستطيع نسيان هذا الظلم والتغاضى عن هذه الاساءة ؟ لو ان نوربى كان على الأقل هو الساعى الى بالاعتذار ابان الأمر .. ولكن حتى هذا قد فات أوانه الآن.

صمت التسيس برهة وهو يعض على شفتيه ، ثم قال :

ــ قل لى يا وانجن . هل تزعم أنت انك لم تحدث بأحد آلاما أبدا ؟ .

فوجىء وانجن بهذا السؤال ، وحاول ان يضحك ، ولكنه انبرع يقول :

ــ الذى أعرفه هو اننى برىء فى هذه القضية . لقد انزل بى نوربى من الأضرار والعذاب الوانا ، حتى أصبحت بى رغبة فى أن أذيقه طعم هذا السجن الذى اراد ان يلقى بى بين جدرانه . ومادام

توربى يعتز بماله ، ويستند الى ثرائه ، فليضع يده فى جيبه ، انني أريد تعويضا ولن أكتفى ببضعة دراهم .

وقال القس فى نفسه :

ـ هذا الرجل مذنب لئيم ، ما دام يساوم بالمال على ما نزل به من آلام .

ثم رفع صوته ليقول :

ـ ليغفر لنا الله . اننا نحن البشر نستكبر على العفو ، ونأبى التسامح مع من أنزل الضرر بساحتنا ، ومع ذلك نطلب من الله أن يكون معنا دائما غفورا رحيما .

ـ هل تظن يا سيدى القس ان من العبث وجود المحاكم التى تعطى لكل ذى حق حقه بالعدل والقسط ؟

هذه المحاكم أجهزة عاجزة ، يا عزيزى وانجن ، لا قدرة لها على الكشف عن حقيقة أعمال الناس ونواياهم ، التى تظل دفينة فى القلوب . انظر الى اقوال الشهود حينما يدلون بشهاداتهم ، تجد انهم يكذبون من غير أن يشعروا بالكذب . انهم يثيرون غبارا ومن خلال هذا الغبار يتعين على القاضى ان يستخلص الحقيقة قدر استطاعته . هذه كلها يا عزيزى وسائل البشر ، وقانا الله شر أحكام البشر وما يتبعها من نتائج .

كان وانجن يظن طوال الوقت ان القسيس موفد اليه من توربى للتغرير به ، ولتخديره بمعسول الكلام ، فنفد صبره فجأة وتقدم من رجل الدين ، وقال له وهو يؤكد كلماته ، لظنه ان كل كلمة منها ستصل الى أذنى توربى :

ـ لست أخشى الا أن يفلت توربى من العقاب بغير أذى كبير ، وكلما فكرت فيما حدث منه رأيت ان مايستحقه لايقل عن السجن يظل فيه طوال حياته .

وقعت هذه الكلمات على القسيس وقعا سيئا ، فقام وهو يقول فى نفسه :

ـ لا يمكن أن يكون مثل هذا الرجل الشرس العنيد بريئا !..

واستأذن فى الانصراف .. وصاحبه وانجن حتى الباب حيث قال له :

ـ ان ما بينى وبين نوربى ليس مجرد نزاع شخصى ، وانما هو يتعلق قبل كل شىء بالعمال ، الذين حرموا قوت يومهم . ان المشكلة مشكلة اجتماعية ..

ـ حقا . حقا ..

قالها القسيس وهو يأخذ مقعده من الرحافة ويمسك بمقود الجواد ، ويردد فى ضميره : « يكفى الآن أن يصاب الانسان بوجع فى أضراسه ليجعل من ذلك مشكلة اجتماعية . لقد ساد الجبن بين الناس حتى ليتعذر على الواحد منهم ان يحتمل العبء بمفرده »

وابتدره وانجن قائلا :

ـ الحمد لله ، لم أعد وحيدا كما كان يعتقد نوربى .

ـ بهذه المناسبة ، علمت انك بصدد انشاء اتحاد عمالى جديد وانك ألقيت محاضرات فى هذا الشأن اخيرا .

ـ هذا طبيعى ! ان الأعمى وحده هو الذى لا يدرك ان وراء نوربى يقف كثـــير من كبار الملاك ، وان الفرض الأول من حملة التشهير الموجهة ضدى هو القضاء نهائيا على فكرة اليوم ذى الثمانى ساعات ، وابطالها فى البلدة وما يحيط بها من بلدان اخرى ..

انصرف القسيس بينما وقف وانجن ينظر اليه ويخاطب نفسه قائلا :

ـ يجب أن يسعى القساوسة دائما الى خدمة الأغنياء وحدهم وأن يحاولوا دائما عن طريق الدين حمل الفقراء على النزول عن حقوقهم ! ..

(٣)

في اليوم السابق على موعد الاستجواب ذهب نوربي الى مكتبه مبكرا ، وأخذ يفحص أوراقه ويستخرج منها ملاحظات ومذكرات ويستعد لما قد يوجه اليه من أسئلة في اليوم التالي .. لم يكن يشعر في تلك اللحظات انه المدعي على وانجن ، وانما هو الضحية المدعى عليه ، الذي يعد الدفاع عن نفسه .

وكان اليوم أغبر باردا وقد جلس الرجل الى مكتبه ، مثبتا نظارته على أنفه ، منهمكا في استعراض ما بين يديه من أسلحة .. وفجأة ارتسمت على شفتيه ابتسامة ، ورفع يده بورقة اخذ يقلبها في عناية كما لو كانت جوهرة ثمينة . انها اقرار مكتوب بيد أرملة هارستاد ، الشاهد الوحيد على عقد الضمان ، وفيه مايهدم شهادة العامل سورين كفيكن من اساسها .

فرح نوربي لعثوره على هذا المستند الهام . سيقرؤه في كبرياء أمام المحكمة ، وسيلقم بذلك خصمه اللدود هرلوفسن حجرا فيصيبه بعنف . ان هرلوفسن لن يتخلف عن حضور الجلسة ليتشفى من غريمه ، وهو الذي ــ بلا شك ــ دفع بالعامل المسكين الى الشهادة بما سمعه من مخدومه القديم . هذه هي الفرصة الذهبية له لينتقم من أعدائه الذين لا هم لهم الا الايقاع به والنيل منه . واطمأن قلب نورين . وعاد يبحث بين أكوام الأوراق عن المزيد من السلاح ليحصن به موقفه ، واذا بالباب يفتح وتدخل عليه زوجته فجأة ، فنظر اليها من فوق زجاج نظارته وقال :

ــ خيل الى انك تتحدثين في التليفون .

ــ اينار قادم الينا اليوم . وقد طلب أن يذهب أحد لاصطحابه من المحطة .

ـ ماذا تقولين ؟ اينار قادم ! هلا اهتم بالانتهاء من دروسه ؟ هذا الفتى ؟ لكأنه يريد ان يظل تلميذا الى الأبد .

ـ لا تغضب هكذا . انت عادة تفرح كلما عاد الينا اينار .

لم يجب نوربى ، وعاد الى أوراقه يقلب فيها ، وهو مشتت الذهن لقدوم ابنه .. ما الذى جاء به ؟ هل ينوى حقـا ان يحشر نفسه فى هذا الموضوع ؟ وأحس وكأن خنجرا مسموما يطعنه فى ظهره . ولكن ، ليأت اينار .. سينتظره ، ويثنيه عن عزمه بكل الطرق . أما الخوف كل الخوف فهـو ان يقص الفتى على امه بما يعرفه ، وما هو قادم من أجله .

وظل نوربى يترقب اللحظة التى يأتى فيها ابنه الى البيت ..

هبط اينار من القطار فوجد أخته انجيبرج فى انتظاره بالزحافة لقد عاد وفى عزمه ان يحرق من خلفه جميع سفنه ، وأن يحمل إياه على العودة الى سواء السبيل ، والاعتراف بالحق . ان المهمة عسيرة وشاقة جدا على نفسه ، ولكنه سيقوم بما يفرضه الضمير والواجب .

جلس الى جوار أخته فى الزحافة ، وراح يستمع الى رنين أجراس الجواد . وعادت الى ذاكرته خيالات الصبا العذبة ، ورأى مراتع الطفولة والمناظر التى ألفها وأحبها كثيرا من قبل . هـل يضعف ؟ هل تهن عزيمته وينثنى عن عزمه ؟ هذا هو الخطر الذى يجب عليه أن يتحصن منه .

سألته انجيبرج :

ـ ما سبب مجيئك هذا المفاجىء ، يا أخى ؟

ـ لأحضر الاستجواب . اريد أن ارى كيف سيتطور الأمر .

ـ أما عن هذا ، فلك ان تطمئن الى أن كل شىء سينتهى على خير بالنسبة لأبى .

ووجد اينار نفسه ، بغير وعى منه ، يردد نفس هذا الرجاء فى

ذهنه . ولكن سرعان ما جاء ضميره يحذره من الضعف والتراخي أمام العاطفة . وعادت انجيبرج تقول :

ـ أبى المسكين ! لو عرفت ، يا اينار ، كل الأكاذيب التى تنسب اليه فى هذه الأيام ! لاشك ان وانجن هذا رجل خبيث شرير !.

ولمعت عينا الفتاة اطمئنانا الى نجاة أبيها من كل سوء ، وأراد اينار أن يغير مجرى الحديث حتى لا ينساق معها فى هذا المنحدر الوعر ، فقال :

ـ كيف حال القوم فى البيت ؟.

ـ كنوت الصغير .. مرض بعض الوقت .. ولكنه الآن بخير ..

وراحت انجيبرج تحدث أخيها عما جرى فى المزرعة اثناء غيابه ، الى أن وصلت بهما الزحافة الى باب البيت ، حيث وجد أباه وأمه واقفين فى الانتظار كالعادة .. فحياهما . وقال له أبوه :

ـ تعال معى الى مكتبى قليلا . أريد أن أتحدث اليك .

وقالت الأم :

ـ ولا تنسى الطعام . المائدة معدة فى انتظارك .

وفى غرفة المكتب وقف الأب واضعا يديه خلف ظهره وقال :

ـ أردت فقط أن أقول لك ان أمك لا تدرى شيئا عن وسالتك ..

أحنى اينار رأسه واسترسل الأب يقول :

ـ واذا كنت قد جئت من اجل هذا الموضوع ، فلا شأن لك به وهو يعنينى انا .

ـ نعم ، يا أبى .

ـ هل من أجل هذا جئت ؟.

ـ نعم ، يا أبى .

ضم الرجل شفتيه ، وقال وهو يتجه نحو باب الغرفة :

ـ حسن . هيا بنا الى الطعام اولا .

تبع اينار اباه كالطفل الذى ارتكب ذنبـــا . ان له من السن ما يســـمح له بالوقوف على عيوب أبيه ، ولـكنه يكن لهذا الأب احتراما عظيما .. وما دامت أمه لم تعلم بأمر رسالته ، وما دام أبوه يخشى ان يصل اليهـا أى خبر عنها ، ففى الأمر شيء يؤيد هواجسه وظنونه .

وبدأ نوربى اثناء الطعام هـادئا ، ولم يبخل ببعض الدعابات التى أطلقها وسريت عنهم . وأحس اينار بالجو العائلى الحبيب المحيط به . واندس كنوت الصغير تحت المنضدة يتمسح بساقى عمه . كل هذا الهناء ، هل يهدمه الابن القادم من المدينة ؟ هـل يشهد ضد أبيه فيكون فى ذلك العار والخراب له ولمن يحب ؟ . وجاءه صوت الضمير يحذره من الضعف ويحثه على الاستمساك بالشرف والواجب .

بعد الانتهاء من الطعام ود اينار لو استطاع ان يبقى فى مكانه يتحدث فى هدوء مع أمه ، ويداعب الطفل اللطيف ، ولكن والده قام واتجه الى الباب وقال :

ــ هيا ، يا اينار . هلا جئت معى ؟.

استعاذ اينار بالله وطلب منه العون . وأراد كنوت الصـــغير أن يتشبث به ولـكنه تخلص منه وهو يقول :

ــ سأعود اليك حالا ، يا صغيرى .

وحينما احتوت الغرفة الرجل وابنه ، جلس الأب هادئا يحشو غليونه بالطباق ، ثم نظر الى اينار وقال :

ــ اجلس . اجلس . هل ما زالت معك نقـــود لنفقتك فى المدينة ؟ .

ــ نعم . معى نقود . أشكرك .

وساد الحرج قليلا بين الرجلين . واخيرا قال الأب :

ـ ما هذا السخف الذى حدثتنى عنه فى رسالتك الأخيرة ؟»

ـ ورد عليه اينار وهو يتحسس كلماته :

ـ كان قصدى شريفا يا أبى • يخيل الى انى أذكر جيدا ذلك اليوم الذى جئت فيه الى غرفتى ، تحدثنى عن تلك الكفالة التى وقعت عليها لصالح وانجن .

ضحك العجوز ضحكة خفيفة وهو يضغط على الطباق فى الغليون ، ثم قال :

ـ لاشك انك تحلم يا عزيزى !»

ـ ولكن ، يا أبى • أنا لم أعد طفلا ، وأدرك جيدا ما أقول » يقينى انك مخطىء . قد تكون نسيت ما حدث . أرجو منك الآن أن تسحب شكواك . مازال فى الوقت من متسع ، أليس كذلك يا أبى ؟ أعرف انك لن ترضى بظلم يقع بسببك .»

ـ هل جننت تماما يا بنى ؟»

ـ أحنى اينار رأسه وقال :

ـ ان سعيى هذا بغرض حسن ، يا أبى .»

وعاد الأب يضحك وهو يقول :

ـ نعم . نعم . انت تسعى لمصلحتى . ولكن هل تدرك جيدا خطورة ما تتهمنى به ؟!»

وسلط نوربى عينيه على اينار ، الذى استند الى الحائط واستعاد شجاعته التى أوشكت لحظة ان تفارقه ، وقال :

ـ الا يمكننى أن اذكرك بذلك اليوم الذى جئت فيه الى غرفتى ؟..

ـ لا ، يا اينار . لا يمكن أن تطلب منى ان اتذكر شيئا لم يحدث الا فى أحلامك .

اضطرب اينار أمام هذه الثقة البادية فى كلمات أبيه ، وهو الذى كان يتوقع الخشونة والتقريع . وكان نوربى مسترسلا فى

الابتسام ، وهو يظن ان أحدا قـد أوغر قلب ابنه عليه . ورفع اينار رأسه وقال :

ــ أبى . انا لا تخطئنى الذاكرة . هل بينك وبين وانجن اية مكاتبة اخرى ؟.

ــ أما هذا فلا . من حسن حظى .

ــ اذن يا أبى ، يجب أن تسحب شكواك ، لأن وانجن برىء .. اسحب شكواك .

انتصب الأب واقفـا وهو ينظر لابنه غاضبا ، وقد أخـذ يمضمض شعيرات من لحيته ، وقال :

ــ لا ، يا صغيرى اينار . انت الذى تخرف الآن . أنصحك بأن تعود الى كريستيانيا وأن تلتفت الى دروسك ، فهى أجدى بك من ان تشغل بمثل هذه الأمور التى لا شأن لك بها ..

وأحس اينـار بالتحول الذى طرأ على نبرات صوت أبيه ، وبالعاصفة توشك أن تنقض وصاح أبوه فى وجهه قائلا :

ــ ماذا دهاك ؟ . أراك تتسـمر أمامى هكذا كالواعظ على المنبر !..

ــ مرة أخرى ، يا أبى ، اسحب شكواك .. أرجوك ..

ــ كأنك متأكد اذن ان أباك كاذب يغش الناس !؟

ــ بل هى الذاكرة خانتك ، يا أبى ..

ــ قل لى بصريح العبارة يا اينار ، لماذا جئت فى هذا الوقت بالذات ؟.

ــ جئت ، يا أبى ، لأحول بينك وبين عمل لن يورثك غير الندم.

ــ يا اينار ، ألا يكفيك أن ترى نصف سكان البلدة ضدى ؟. هنـاك أناس كثيرون لا يفكرون الآن الا فى كيف يبعثـوا بى الى السجن .. وها أنت تنضم الى صفوفهم !.. ألا تخجل ؟..

أحنى اينار رأسه ، وقال فى تلعثم ، وقد بدأت قواه تخور :

ـ ولكن .. يا أبى ..

ـ قل لى ، يا بنى . من الذى أوعز اليك بهذا الخاطر ؟.

ـ من ؟. ماذا تعنى يا أبى ؟.

ضحك الأب لهذه الغضبة من ابنه وقال :

ـ سترى انك سينتهى بك الأمر الى الوقوف ضد أبيك فى الجلسة ، والشهادة عليه .

اذا سحبت شكواك جنبتنى هذا الحرج .

احمر وجه الرجل من الغيظ ، وأراد أن يصرخ ، وأن يجذب شعرات لحيته ، وان يجلس على مقعده ، ولكنه لم يقو على شىء من هذا . فاندفع نحو ابنه وأمسك بخناقه وهو يصيح فيه :

ـ أغرب عنى !. أغرب !. سترحل عن هنا اليوم ، والا .. كان الله لك ..

وتأخر الى الخلف قليلا ، وكأنه خشى أن ينقض على ابنه ليضربه . ثم أخذ ينظر الى الشاب من رأسه الى قدميه . لم يعد اينار ذلك الطفل الذى يستطيع أن يهزأ به وأن يوسعه ضربا ولكما . لا . لقد كبر . وها هو ذا واقف أمامه الآن رجلا يريد أن ينضم هو الآخر الى خصومه . فصاح غاضبا :

ـ اخرج !.

ـ اسحب الشكوى ، يا أبى !.

لم يعد للصبر مكان فى صدر نوربى ، فأمسك بأحد المقاعد ورفعه نحو سقف الغرفة ، وهو يصرخ :

ـ اذهب عنى !. اخرج !. اذهب !. ألا تريد ان تذهب من أمامى ؟. اذهب !. هل تسمعنى ؟.

رفع اينار رأسه وقال فى هدوء :

ـ نعم • أنا ذاهب !• ولكن يجب أن تكف عن معاملتي على هذا الوجه • هذا كل ما أقوله لك •• وداعا ••

وخرج من الغرفة متمهلا • وأسرع الأب يغادر البيت لجولته في المزرعة .•

وفي المساء أحس اينار برغبة في أن يروي لأمه كل ما حدث ، ولكنه لم يجرؤ على ذلك • وراح يفكر فيما سوف يعمله غدا • صعد الى غرفته مبكرا ليتحاشى اللقاء بمن في البيت • وتزاحمت الخواطر في رأسه • أيقلع عما اعتزمه ؟• ان كل شيء حوله يدعوه الى ذلك ، الدفء في تلك الغرفة التي قضى فيها طفولته وصباه ، والفراش الوثير النظيف الذي أعدته أمه بيدها ، وجو الأسرة المحبب الى قلبه • لا • لا يستطيع أن يهدم كل هذا •• أن يقضي على هذا الهناء •• ان يتخلى عن تلك الذكريات العذبة !• ولكن لنفرض أن وانجن قد حكم عليـــه ، وانك كنت تستطيع انقاذه !• هل ستعرف بعد اليوم لحظـة هدوء واحدة طوال حياتك ؟• ما أشـد حاجته الى عون يأتيه من عند الله !•

(٤)

عندما خرج نوربي من منزله في اليوم التالي كانت زوجته الى جانبه ، فقد اعتاد أن يصحبها معه في كل أمر ذي بال • وكان اليوم باردا أغبر ، والثلج يتساقط ويغطي الكون برداء أبيض .•

لقد حل اليوم الذي طالما خشي حلوله .• ولكن الخوف انصرف عنه الآن وأصبح يتعجل انعقاد المحكمـة ليجول فيهـا ويصول ، كالمقـــامر الذي يتلهف على الكسب • ان تفكيره ما زال مشغولا بموقف ابنه منه بالأمس • هل دفعه أحد أعدائه ليثور على أبيه هذه الثـورة العارمة ؟• ان أعـداءه قادرون على كل أمر خبيث للاضرار به .• ألم يفسـدوا ذمة العامل سورين كفيكن ليشـهد

قصده ؟ · ها هم قد توصلوا الى بث العداوة والبغضاء بين الابن والأب ·

تقع المحكمة بالقرب من شاطىء البحيرة ، وقد أقبل الناس من كل فج لمشاهدة الحدث العظيم · وكان أول من قابله نوربى عند الباب خصمه اللدود هرلوفسن ديرود متدثرا فى فرائه السميك المصنوع من جلد الذئب · أقبل الرجلان كل منهما على الآخر يحييه ، ويشد على يده بحرارة ، وكأنهما صديقان حميمان · ان الابتسامة المرتسمة على وجهيهما تخفى ما فى قلب كل منهما نحو الآخر من كراهية ، وما ينتويه له من شر مستطير · ودعا هرلوفسن الجميع الى فنجال من القهوة الساخنة ، ولكن نوربى أصر على أن يدفع هو ثمن المشروبات · وراح الرجلان يتحدثان بالسوء عن كل من فى البلدة ، من غير أن يقربا القضية الكبرى التى ستنظر بعد لحظات ، خشية أن يستشف كل منهما عن الآخر خططه ونواياه ·

أخيرا أقبل القضاة وفتحت الأبواب واندفع الجمهور الى القاعة · وحينما دخلت ماريت نوربى كانت الجلسة قد بدأت ، فاختارت لنفسها مكانا وسط زوجة القسيس ومدام نورا ليدارند ، بعد أن تلقت منهما ابتسامة التحية ·

كان وانجن واقفا أمام منصة القضاء ، يدافع عن نفسه فى حرارة ، بينما نورا ليدارند تنظر اليه فى اشفاق ، وتكاد تبكى حسرة لعنقه الذى نحل ، وملابسه التى أصبحت فضفاضة لشدة ما أصابه من هزال · كم تتمنى له أن يكف عن عناده ويعترف بجرمه ، فيخفف عن نفسه العناء والعقاب ، وينقذ زوجته المسكينة وأولاده الضعفاء من التشرد والضياع · انها لم تشك لحظة فى ادانته منذ البداية ، كما انها لم تشك لحظة فى عناده الذى سيطرح به الى الهلاك · وهذا اليقين هو الذى دفعها الى قبول التضحية ، حينما فكرت فى تبنى أحد أبناء وانجن الشقى الذى ورث صفاته

القبيحة هذه عن أبيه • ولكن هل لاعتبارات الوراثة أى خطر فى نظر القضاة من بنى البشر ؟•

نودى على الشاهد الأول ، وكان كنوت نوربى •

ها قد جاءت اللحظة التى كان يخشاها وينتظرها • سيطلب منه أن يؤكد باليمين عدم امضائه أى شىء لصالح وانجن • ويجب عليه ألا ينسى شيئا مما رتبه فى ذهنه واعتزم أن يقوله • والتقى نظره بنظر وانجن الجالس فى مكان الاتهام ، فامتلأ قلبه حقدا عليه ، وصمم على الايقاع به الى النهاية ، جزاء له على ما أشاعه حوله من شائعات وأكاذيب •

ولم يكن القاضى نفسه هو الذى يرأس الجلسة ، وانما يرأسها نائب له • فأحس نوربى بجرح فى كبريائه • كيف جاز اختيار هذا القاضى الشاب لنظر قضية كنوت نوربى العظيم !• هل هى قضية هينة صغيرة ؟• وعندما دعاه القاضى الى حلف اليمين على أن يقول الحق ، كل الحق ، ولا شىء غير الحق ، أحس نوربى بشىء يحمله على الضحك • ألم يبلغه أخيرا ان هذا القاضى قد سكر حتى فقد وعيه فى بيت باستنج المحامى ؟•

وباستنج هو الآخر ، محامى النحس ، لقد جاء للدفاع عن موكله وانجن • ها هو ذا واقف فى قاعة الجلسة يحاول أن يضفى على نفسه ستارا من العظمة الكاذبة والخطر المزيف • ما أشد حمقه !•

بدأ الاستجواب ، ورد نوربى بسهولة على ما وجه اليه من أسئلة ، وقد أحس بأن باستنج واقف يتبمر له ويتسقط هفوة منه • كيف يجرؤ هذا الصعلوك ، الذى لا يجد قوت يومه الا بالكاد، والذى لا يرقى أمله الى أكثر من القضايا الصغرى ، كيف تسنى له أن يقف منه هذا الموقف المتربص الوقح !•

قال القاضى لنوربى :

ـ أكد وانجن انه يتذكر تماما المـــكان الذى تم فيه التوقيع على العقد •

رد نوربى فى صوت يخالطه التهكم والبراءة المفتعلة :

ـ يسرنى أن أعلم أين كان هذا المكان ؟•

فالتفت القاضى الى وانجن وقال :

ـ كان ذلك فى المقهى الكبير ، أليس كذلك ؟•

وقف وانجن وراح يؤكد أن التوقيع على العقد قد تم فعلا فى المقهى الكبير • واطمـــأن نوربى لهـــذه الاجابة ، وقال بضمير مستريح :

ـ أنا لم أوقع على هذا العقد •

وهنا وصل الى سمع نوربى صوت ضحكة خافتة ، انطلقت من وانجن ، أشـــاعت فى جسمه نار الغضب • ولكن حدث فى هـــذه اللحظة امر لم يكن يتوقعه نوربى ، ولم يستعد له البتة • فقـــد أمسك القاضى بورقة أمامه قدمها له وهو يقول :

ـ هذا هو العقد ، وهذا هو اسمك فيه • هل لك أن ترى اذا ما كان الامضاء مشابها لامضائك ؟• فربما فاتك تذكر الواقعة •

نظر نوربى فاذا بامضائه على الورق كما كتبه بيده ، وأحس كأن شبحا قادما من أعماق القبور قد انتصب أمام عينيه • ولمح الى جواره المحامى باستنج يرنو اليه خلسة ، فثار فجأة ، وألقى بالعقد على المنضدة وقال :

ـ لا حاجة بى الى فحص هذه الورقة • فأنا أعرف جيدا كل ما أفعل •

والتمس باستنج الاذن بتوجيه بعض الأسئلة • ولما أذن له القاضى اقترب من نوربى وقال :

ـ ألم يطلب منك وانجن قط أن تمنحه ضمانا ؟•

نظر وانجن نظرة احتقار الى هذا الانسان الأصلع القذر ، وهم بأن يوجه اليه قولا قاسيا ، ولكنه سرعان ما تذكر اعتزامه الهدوء ، فقال نوربى وهو يبتسم :

ـ اناس كثيرون تقدموا الى طالبين أن أؤدى لهم هذه الخدمة ولكننى لا أذكرهم جميعا .

وعندما سمع ضحكة وانجن الهازئة ، عاد يقول :

ـ من المحتمل ان يكون قد طلب منى ذلك ، فقد كان فى الفترة الأخيرة يتخبط كالفأر داخل المصيدة ، وكان يسعى لدى كل من هب ودب ، حتى من لا يعرفه .

وانتهت شـــهادته ، ولـكنه تذكر الاقرار الصادر من ارملة هارستاد ، فطلب من القاضى ان يعود الى الاستماع اليه بعد اقوال سورين كفيكن . وخرج من القاعة ، حيث راح يستنشق الهواء قبل أن يدس رأسه فى الفراء . وجاءه من داخله صوت يقول :

ـ لقد كذبت ، يا نوربى . لقد كذبت .

ولـكنه صوت بعيـــد ضئيل لا اثر له ولا خطر ، الى جانب صوت ضحكات وانجن المـاكرة الخبيثة .

واخـذ نوربى العجوز يسير قليلا فى فناء المحكمة ، ولـكنه توقف فجأة عندما رأى شـبا يرتدى معطفا ، ويغطى رأسه بالفراء يقترب منه ، وقد عرف فيه ابنه اينار . وقف الرجلان على بعد خطوات بينهما ، ثم قال نوربى :

ـ هذا انت يا اينار . فى نزهة ؟ .

ـ ابى ! . لو تعلم كم اكره لنفسى الموقف الذى انا فيه الآن ! .

زمجر الأب ، وقد رأى فى النوافذ المحيطة بالمكان اناسا قد ينظرون اليهما ، ثم قال

ـ الا تكفيك المائة والخمسون كورونا التى تأخـــذها فى كل شهر لشئونك ؟ ألا تريد ان تكون لك زوجة وأولادا فى كريستيانيا ؟

عض اينار على شفتيه ، وارتجف صوته وهو يقول موجها نظره الى أبيه :

ـ أريد ان استجيب الى نداء ضميرى ؟ وان أؤدى واجب العدل .

اقترب منه نوربى ضاحكا وقال :

ـ هذا طبيعى .. هذا طبيعى .. ومن الذى يحول بينك وبين ما تريد ؟ .

ـ سأضطر ان ادخل الى هذه القاعة .. وأن انقذ هذا البرىء وليحدث ما يحدث !..

وتقهقر الشاب رغما عنه قليلا وهو ينظر لأبيه .. وحاول العجوز ان يحتفظ بابتسامته خوفا ممن يتطلعون من النوافذ .. ولكن الاصفرار علا وجهه وهو يقول :

ـ هذا ما كنت اتوقعه بالفعل .. ولكن ، قل لى من الذى غرر بك هكذا ؟.

احمر وجه اينار وهو يتقدم خطوة الى الأمام غاضبا وقال لأبيه :

ـ اريد ان اعرف الآن ؟ ما الذى تعنيه بهذا القول يا أبى ..

وما كان الأب بالرجل الذى يقبل هذا الأسلوب الآمر فى الحديث ، فأخذ يلوح بيديه فى وجهه وصرخ قائلا :

ـ اذن .. اذهب وأد الشهادة .. اذهب الى الجحيم .. لا تبقى هنا لتعذبنى بهذه القسوة .. اذهب . اذهب !..

وخانته انفاسه ، فلم يستطع ان يضيف شيئا الى هذه الصرخات ، ثم استدار وأسرع منصرفا .. وتقدم اينار من باب المحكمة وفجأة سمع صوت أبيه يناديه :

ـ اينار !..

ـ نعم .. يا أبى ...

والتفت الفتى فرأى أباه ينظر اليه ، ثم يشير اليه بيده ويقول :

ـ لا شىء ..

وسار في طريقه مرفوع الراس ، بينما وقف ايثار على درج المحكمة : ولم تبق أمامه غير خطوات ليكون امام القاضي .. وقال لنفسه :

ـ ان سلوك ابي فيه الدليل على براءة وانجن .. ولكن هل تستطيع انت ان تؤدي واجبك ؟ ! هل أنت شجاع أم جبان ؟ .. ما عليك الا أن تقول الحق ، فهل انت فاعل ؟ لعلها المرة الوحيدة في حياتك التي يطلب منك فيها أن تكون شجاعا .. اقدم ، وكن رجلا ! ..

استمر في سيره حتى وصل الى داخل المحكمة ، وفتح باب الجلسة .

(٥)

حينما ترك نوربي ابنه لم يدر الى أين ذهب .. فراح يتسكع هنا وهناك وقابل بعض معارفه ووقف يتحدث معهم رغم ما في قلبه من غيظ . تحدث عن الثلج وفي قلبه شيء يقول :

ـ انه الآن أمام المحكمة .. ليشهد بما يشاء . وسنرى .

واطمأن قليلا عندما راى الناس حوله يخاطبونه في ادب واحترام .

ودخل أحد الحوانيت حيث ألصق رأسه بزجاج النافذة ، ووقف ينظر الى مبنى المحكمة هناك .. لا شك انهم يضحكون الآن في قاعة الجلسة للفضيحة المدوية .. وقد ظنوا انهم أخذوا بتلابيبه بعد ان أفسدوا تفكير ابنه .. ولكن صبرا .. كيف يجرؤ ابنه الذي أنفق من اجله آلاف الكورونات على الوقوف منه هذا الموقف ؟.. يا له من ابن عاق ، جر العار على نفسه وعلى ابيه !.. لقد أضاع اللئام ابنه منه الى الأبد .. وسيندمون !..

عندما دخل ايثار قاعة الجلسة وجد مكان الشهود خاليا .. ينتظر من تظهر على لسانه كلمة الحق ، وقد انصرف القاضي الى كاتبه يملي عليه شيئا ما . وخيل للشاب ان الشهادة تدعوه وان

الواجب يناديه .. وجذب باب الغرفة خلفه فأحس وكأن ستارا قد انسدل ليفرق ضالى الابد بينه وبين أبيه .

رأى أمه بين الحاضرين فى القاعة : وقد ابتسمت له وأشارت الى مكان بجوارها تدعوه الى الجلوس فيه .. آه لو علمت هذه الأم أن ابنها لن يعود بعد اليوم الى البيت .. كيف يكون حالها وهى تستمع اليه يلقى بشهادته ؟.. لا شك ؟ ، سيغمى عليها فى الحال . وتلاطمت الأفكار فى راسه .. يجب عليه أن نقدم فى هذه اللحظة ، وان ينفذ ما انتواه ، والا يجعل الى الوهن سبيلا الى قلبه ، والا ضاعت منه الفرصة الى الأبد ، وعاش معذبا محتقرا ..

هم الشاب بان يتوجه بطلبه الى القاضى ولكن زوجة القسيس ونورا ليدارند حيتاه بحركة من راسيهما ، واضطر ان يرد اليهما التحية . وفى الوقت نفسه اشارت اليه أمه بالجلوس الى جوارها واسرعت السيدتان تفسحان له مكانا على المقعد . هل يجلس لحظة ؟.. لقد انهكه السير ساعات طويلة فى البرد تحت الثلج المنهمر . وهنا ينتشر فى القاعة جو دافىء يكاد المرء يختنق فيه. احس بدوار وبالدم بتصاعد الى راسه . وهذه هى امه مازالت توجه اليه الابتسام والدعوة الى الجلوس . وفجاة ، من غير ان يدرى ، وجد نفسه على المقعد الى جانبها ، واخذت السيدتان تصافحانه فى ود وعطف .

نادى القاضى على ماريت نوربى للشهادة :

ـ الم تكونى فى القاعة ضمن الحاضرين ؟.

ـ نعم ..

ـ هذا غير جائز ، ما دامت من بين الشهود .. تفضلى بالخروج من قاعة الجلسة .

حينما نظر أنار الى امه وهى امام القاضى احس احساسا عجيبا وكأنها فى خطر داهم . ولما سمع كلمات القاضى لها ثار لكرامتها . وتجمعت فى صدره عواطف البنوة كلها وتخلخل العزم الذى اندفع به من قبل . لقد لمعت فى عينه منذ لحظات

الرغبة الدافعة الى الوقوف فى جانب الحق والعدل . أما الآن فقد اخذ هذا الضوء يخبو ويتباعد .. ها هى ذى أمه امام عينيه فى موقف الحرج والمذلة ، وقد أهانها القاضى . فهل يزيد هو من إخراجها ، ويضيف الى اذلالها واهانتها بتكذيبها فيما تقول ؟ .

وادت الأم شـــهادتها وانسحبت الى خارج الجلسة ، وأسرع اينار خلفها ليسألها عن حالها وليواسيها فيما تعرضت له . ونسى فى عجلته معطفــه الذى كان قد خلعــه ووضــعه الى جواره على المقعد ..

حينما لحق بأمه فى الطريق ، أحس فجأة بالرغبة فى الرحيل عن البلد ، فلم يعد قادرا علي خوض المزيد من المعارك . فحياها وانصرف مسرعا فى الطريق المنعرج المؤدى الى المحطة .

انقطع نزول الثلج وحل محله تساقط البرد فى شكل حبات غليظة راحت ترجمه فى عنف وأسرع الشاب الخطا وهو يخاطب نفسه قائلا :

ــ ان استجواب اليوم ليس الا مرحــلة من مراحل التحقيق التمهيدية .. ومازالت الفرصة متاحة للشـــــهادة امام محكمة الجنايات ! .. ولــكن التردد عاوده ثانية ، وظل طوال الســـاعة الباقية على قيام القطار يقلب الأمور فى ذهنه ، متنقلا بين احاسيسه موزعا بين عواطفه .. هل يستطيع العودة الى أبيه الآن ؟ لن يغفر له أبوه ما بدر منه .. وحتى لو غفر له الهفوة ، فلن يعيــده قط الى مكانه الأول من الحب والاعزاز . لقــد خان البيت الذى ولد فيه ونشأ ، وتنكر لأهله وذويه . ولن يشفع له أبدا أن حال الجبن بينه وبين المضى فى الخيانة والتنكر الى آخر الشوط !.. ونظر اينار الى مبنى المحكمة هناك على حافة البحيرة . انه مباءة الظلم ووكر النميمة ، ومرتع الأيمان الكاذبة . سيحكم فيه على برىء كان فى استطاعته هو أن ينقذه .. وها هو يفر جبنا وتخاذلا .. هل يجدر به الآن أن يعــود الى كريستيانيا ، وأن يعاشر اخوانا له هناك ، وأن يرفع رأسه امامهم ؟.

وعجز عن متابعة السير الى محطة سكة الحديد ، وخانته قدماه ، فجلس على حجر فوق حافة الطريق . انه لم يتنبه بعد الى انه نسى معطفه هناك فى قاعة المحكمة . وانقضت ساعة وهو فى مكانه مسندا رأسه الى كفيه ، ثم افاق على صوت زحافة تمر من امامه وبها رجلان يتضاحكان . هل تم الأمر هناك ؟ هل وقع الظلم وحلت الكارثة ؟ وانتابته ضحكات هستيرية ، ضحكات من الظلم ومن الجبن معا ، واخذ يسعل بين الضحكة والضحكة .

لما جاء دور سورين كفيكن للشهادة ، وقف متعاظما وقد دس يديه فى جيوبه . انه يعرف ان الأقوال التى سيدلى بها ستكون هى الفيصل فى النزاع . قال انه فى اثناء الفترة التى قضاها فى خدمة هارستاد اسر له هذا الأخير يوما انه رأى نوربى يوقع على ورقة استجابة منه لطلب وانجن، وان هارستاد نفسه وقع على تلك الورقة بصفته شاهدا .

واهتز الحاضرون فى القاعة ، فقد تحققت براءة وانجن .. وجه القاضى الى الشاهد سؤالا قال :

ــ هل انت على يقين مما تقوله الآن ؟ ـ

ــ مازلت اذكره كما لو كان بالأمس .. بل لقد كنا نعمل معا فى طلاء احدى العربات حينما روى لى هذه الواقعة .

تذكر القاضى ان نوربى طلب الاذن بالكلام بعد شهادة هذا الرجل . وتوقع حدوث مفاجاة . فقرر اجراء المواجهة بينهما .. وعاد نوربى الى المثول امام المحكمة .. وقبل ان يفتح فمه للكلام دار بنظره فى القاعة بحثا عن غريمه هرلوفسن . واذ تأكد من وجوده فى مكانه ، اخرج الورقة من جيبه واستأذن القاضى فى تلاوتها ، فاذن له مترددا .

وراح نوربى يقرأ من الورقة : « أقر انا أرملة المرحوم جورجن هارستاد ، وأعلن بشرفى وضميرى أن سورين كفيكن خرج من خدمتنا قبل ستة اشهر على وجه التقريب من تاريخ التوقيع على العقد المذكور . وبما انه قد عمل بعد ذلك ولمدة طويلة فى بلدة

أخرى فمن المستحيل أن يكون زوجى قد تحدث اليه فى هـذا الشأن قبل وفاته » .

تناول القاضى الورقة من يد نوربى وأجرى نظره عليها .. ووقف كل من فى القاعة متعجبين ، ووقف المتهم وانجن ايضـا واستند الى الحائط . نظر القاضى الى كفيكن وسأله :

ـ ما قولك فى هذا ؟ .

واسرع نوربى ينظر الى هـرلوفسن ، الذى بدا عليه الغيظ فجأة ..

عاد القاضى يسأل كفيكن ، الذى وقف ينظر الى حذائه حائرا :

ـ ما قولك ؟ قلت انك كنت تطلى عربة فى اليوم الذى قص عليك فيه هارستاد قصته . ويبدو جليا انك مخطىء فيما قلت .. فكيف تفسر ذلك ؟.

ولما لم يحر الرجل جوابا ، أذن له القاضى فى الانصراف ..

حينما عاد نوربى وزوجته الى زحافتهما ، أحاط بهما الناس مهنئين مهللين . ولم يفز وانجن بغير الزراية والاستخفاف .. واذ مر وانجن الى جوار خصمه العنيد رفع نحوه يده مهددا وهو يصيح فى وجهه :

ـ صبرا .. صبرا .. أيها الوغد .. أتظن انك حققت النصر اليوم ؟ ولكن مهلا .. ستذهب الى السجن عما قريب ، انت وتلك التى تجلس الى جوارك .

وانتفض يحاول الانقضاض على نوربى ، ولكن رجلين قويين أمسكا بتلابيبه من الخلف وجذباه رغم مقاومته العنيفة . وقال أحد الحاضرين وهو يهز رأسه :

ـ الخمر .. قاتلها الله .. انه سكران .

وقال آخر وهو ينظر نظرة العطف الى نوربى :

ـ يجب القاء القبض عليه فورا ، ووضعه فى السجن .

وابتسم نوربى ، وهوى بسوطه على الجواد ، وانطلقت به وزوجته الزحافة . والكل من حوله يحيونه ، وعندما وصلت الزحافة الى فناء الدار خرجت انجيبرج تقول فى رعب :

ـ اينار المسكين ...

فأسرعت ماريت نحوها ، وقد انحبست الكلمات فى حلقها وهى تقول :

ـ اينار ؟.. ما خطبه ؟ لقد عاد الى كريستيانيا !..

ـ لقد جاءوا به منذ لحظات ، وطلبت الطبيب ليحضر على عجل ..

(٦)

كان القمر اللامع وسط السحب الجارية يرسل اشعته الفضية على الحقول والغابات التى كساها الثلج ، وظلال المبانى تنتشر قاتمة فوق الصفحة البيضاء ، وفى فناء البيت بعض الزحافات التى قلبت على جوانبها لكى لا تلتصق اسلحتها بالأرض المتجمدة. وراح الكلب يعوى طالبا ان يفتح له الباب وقد رأى الضوء ينفذ من احدى النوافذ فى الطابق الأعلى ..

ولم يعرف النوم سبيله هذه الليلة الى أعين الخدم فى ماواهم القابع فوق حافة الحديقة . وقد اقترب واحد منهم من النافذة ثم تثاءب وقال :

ـ مازال النور مضاء هناك فى غرفة اينار !..

وقال الآخر :

ـ هل من سبيل الى معرفة حاله ؟.

أما الخادم العجوز فقد تمتمت قائلة :

ـ لقد نبح الكلب نباحا عجيبا منذ لحظة .. وهذا ليس بالفأل الحسن ..

ساد الصمت بين الجميع ، ومازال احد الخدم ينظر من النافذة الى القمر مرة ، والى النافذة المضيئة مرة اخرى ، وعادت الخادم العجوز تقول فى تشاؤم :

ـ لقد سمعت البوم ينعق فى الليلة الماضية .. لم يحدث هذا منذ ان مات ابو كنوت نوربى ..

وقال الخادم الثانى :

ـ يا الهى ! لقد كان ايثار دائما شابا لطيفا .. ليكن الله معه.

وعاد الصمت ثانيــة بين الجميع ، ثم سمع صوت الخادم الواقف امام النافذة يقول :

ـ يبدو ان شخصا ما يسير ذهابا وايابا فى الحجرة الكبرى.

ذهب كل منهم الى فراشه . وقال العجوز وهو يجذب الغطاء فوق رأسه :

ـ ألم يكن شبح نوربى الكبير يظهر فى الحجرة الكبرى هذه ؟ .

وقالت الخادم وقد أخذت تتدثر هى الأخرى بغطائها :

ـ ما دام فى الحجرة انسان يسير .. فالنتيجة معروفة منذ الآن ..

تقع الحجرة الكبرى فى الدور الأعلى بين غرفة ايثــار وغرفة أبويه .. وكان بها انسان يســير فعلا مخترقا فى ذهابه وايابه سيل الضوء الذى يبعثه القمر على خشب الأرضية ووقف السائر أمام النافذة ينظر الى الخارج ، الى الليل الهادىء والى النجوم التى تبدو وسط السحب الممزقة . انه يرتدى معطفا ســميكا ويضع يديه فى جيوبه ! !

فتح الباب ودخلت انجيبرج تحمل مصباحا فابتدرها نوربى بالسؤال :

ـ كيف الحال الآن ؟.

ـ تعال يا أبى .

ـ هل يطلبنى ايثار ؟.

ـ لا بل أمى هى التى تطلبك .. مازال يلفظ الدم من صدره.

قال الرجل وهو يهز كتفيه :

ـ هكذا دائما فى حالات الالتهاب الرئوى .. عودى واطمئنى انه شاب وقوى .. سيبرأ منها .. اذ يجب ان يتبع المرض مجراه

واخذ نوربى يحدث نفسه قائلا :

ـ هل لدى قدرة على النوم ؟.

اذن فليس امامه الا أن يسير في طول الحجرة وعرضها وهو يتمتم قائلا :

ـ يا رب ، اجعل العاقبة سليمة ..!

ماهذه الخواطر التى تمر برأسه احيانا ؟ هل هو حقا لا يتمنى الشفاء لولده ؟ خواطر سوداء كالذباب القذر يود لو يطردها بعيدا .. بعيدا عن ذهنه .. لقد كانت عميقة تلك الجراح التى اصابته في هذه القضية الملعونة .. لا شك انه يغفر لابنه كل ما حدث . واذا قدر لاينار ان يقوم سليما معافا ، فلن يتطرق الحديث بينهما الى هذا الشيء المؤلم أبدا . ولكن المرض دهم ابنه فى وقت لم تكن غضبته قد هدات بعد . ولابد ان ينقضى زمن طويل قبل أن تزول الآثار وتذوب الابر المدسوسة فى قلبه .

توقف ثانية امام النافذة ، وضاعت نظراته فى الليل المضيء . وهبت الريح شرقية تكسح أمامها السحب ، وتكدسها فوق قمم التلال . وراح نوربى يفكر فى كل ما حدث .. ما احلى الحياة بعد الانتهاء من هذه القضية والخروج من مآزقها !.. لقد استدرج فى مشاكل لا تعنيه ، وقامت بسبب هذه المشاكل عداوة بينه وبين الآخرين .. أراد خصومه ان يوقعوه فى الحرج وان يلحقوا به الخراب .. افسدوا ذمم الشهود ، واثاروا الابن ضد أبيه .. لماذا أصاب الداء اينار ؟ . لو لم يجتذبوه من كريستيانيا لأجل هذه القضية بالذات ، لكان الآن هناك ، صحيحا سليما ، منكبا على كتبه ملازما لدروسه .. ها هو ذا الآن يرقد بالقرب منه ، مصابا بالتهاب رئوى ، لسيره بغير معطف فى هذا الشتاء البارد .. لو اختطف الموت اينار .. لكان الوزر كله على عاتق أولئك الذين افسدوا تفكيره وأثاروا عاطفته .. وسيفرح خصومه لفقده هذا الابن بعد ان افقدوه الابن الآخر من قبل .

وتوقف عند خاطر الموت هذا وتساءل :

ـ هل ينجح خصومى فيما يريدون لى .. هل أتيح لهم هذه الفرصة ليفرحوا ..

واتجه لتوه الى الباب معتزما الذهـاب الى الطبيب لاحضاره على عجل .. ولكنه تذكر ان الطبيب قد وعد بالحضور فى اليوم التالى مبكرا ..

عاد نوربى الى النافذة ، وعادت الأفكار تتلاطم فى ذهنه .. لو مات اينار وكانت الجنة مقره .. فسيبقى فيها الى أبد الآبدين ينظر اليه تلك النظرة القاسـية التى رآها فى عينيه فى فنـاء المحكمة وهو يقول :

ــ أريد ان أتبع صوت ضميرى ، يا أبى ..

سوف تظل هذه الـكلمات تتردد فى خاطر نوربى دائما ليلا ونهارا ، تحمل اليه الاتهام من فم الميت ومهما حاول التنقل هنا وهناك فى ارجاء العالم ، يجمع لنفسه الشهود ، ويحصـل على الاقرارات ، فلن يستطيع ازاء هذا الميت شيئا .

ارتعدت شفتا الرجـل من الخوف .. يجب انقاذ الفتى .. يجب انقاذه بأى ثمن .. وليذهب بعد ذلك امام المحاكم ليشهـد ضد أبيه بما يشاء . فهذا خير من ان يصعد الى السماء ليظل فيها شاهدا أبديا عليه .

واشتد هبوب الريح العاصفة ، تردد أناتها فى الأركان ، وبين الغصون ، وفوق الأسطح التى تتدلى منها عناقيد الثلج المتجمدة وعلى هـذه الطبيعة الثائرة يمد القمر ملاءته الفضية .. وفجأة انتشر فى الليل رنين أجراس الزحافة وهى تبتعد عن البيت .. وعلى متنها جلس نوربى العجوز غارقا فى الفراء حتى أذنيه .. وهو ينطلق مسرعا ليأتى بالطبيب .. يجب ان يعيش اينار ! .

وأسرع الكلب يقفز سرورا خلف الزحافة ويغوص فى الثلج .

ولم يكن أحد فى المزرعة قد استيقظ بعد ..

الفصل الثـالث

(١)

فى اليوم التالى لانعقاد الجلسة قامت مدام وانجن من نومها فى الساعة السادسة . لم يبق فى خدمتها احد وعليها ان تغسل اليوم ملابس الأسرة كلها . ارتدت ملابس النهار ، ولـكنها القت بنفسها على احد المقاعد وقد أحست بالتعب والارهاق . لقـد قامت من نومها مرات عديدة أثنـاء الليـل ، ليس فقط من أجل الاولاد ، وانما من أجل زوجها أيضا ، فقد كان مسهدا قلقا يطلق الكلمات والصرخات فى اللحظات القليلة التى زار فيهـا النوم عينيه ..

واضطرت الى القيـام من مقعدها ، وراحت تنظر طويلا الى وانجن المكوم فى فراشه تراوده الأحلام المزعجة . وراحت تباشر شئون بيتها الى أن حلت السـاعة الثامنة فأرادت ان تفاجىء زوجها بقدح من القهوة الساخنة ، تقدمه له وهو فى الفراش .. ولـكنها سمعته يناديها بأعلى صوته غير حاسب للأطفال النائمين حسابا . ودخلت عليه تقول :

ـ هل جننت ؟ الا تخشى ايقاظهم ؟.

ـ هل تعلمين ، يا كارين ؟ ان سورين كفيكن هذا ، الذى جاء الى يعرض على الشـهادة لمصلحتى ، ليس الا مبعوثا من قبل أعدائى .. لم أعد اشك لحظة فى ذلك ..

تسمرت في مكانها وقدح القهوة في يدها وقالت :

ــ ماذا تقول ؟.

ــ والا ، فقولي لي .. ما مصلحة هذا العامل الفقير في ان يأتى ليدلى بشهادة من السهل دحضها ؟.

ــ حقا .. حقا ..

ــ لقد رشاه نوربي لهذا الفرض .. بكل بساطة . يا كارين .. وهرلوفسن ديرود ، الذى تظاهر في وقت ما بأنه يقف في صفي ليس الا واحدا من العصابة ، هو الآخر . كان يجب على أن أفضح المؤامرة الدنيئة في الحال ، انه هو الذى قدم عامله ليحفر لى هذه الحفرة .. ونجح فيما دبره .. لقد جعلوا منى هزاة في نظر الناس ، واشاعوا من حولى الشكوك .. فكرة جهنمية حقا ! .

ــ ولكن هل انت على يقين من ذلك ، يا هنريك ؟.

ــ نعم . كل اليقين .. وهل في ذلك من شك .. الأمر واضح ..

ــ لا أستطيع أن أصدق أن في الناس كل هذا اللؤم .

ــ لا تستطيعين ان تصدقي .. ألست ترين بعينيك ما يحدث لنا كل يوم ؟ لكأنى بك تفضلين ان تريني انا اللئيم .. بل المذنب .

لم ترد كارين على هذه الثورة التى بدت في كلمات زوجها ، ومدت له يدها بالقدح :

ــ هلا شربت قهوتك ؟.

جلس وانجن في فراشه ، وقد وضع القدح فوق الغطاء ، وراحت زوجته تزيح الستائر عن النافذة ، وتنظر من خلالها الى الثلوج المتراكمة حول البيت . ثم التفتت الى وانجن وقالت :

ــ لقد تملكني خوف شديد هذا الصباح .

ــ خوف شديد ؟.. لماذا ؟.

ــ كان هناك رجل جالس على درج السلم .. ولما فتحت الباب وجدت انه الحائك .. وتملكني الرعب .

أزاح وانجن القدح عن فمه بسرعة وهو يقول في ذعر :

ـ كيف ؟ الن يكف هذا الرجل عن ملاحقتي ؟..
ـ انه مجنون بلا شك . لم يشأ أن يغادر مكانه حتى الآن ..
قال انه سيرابط عند الباب الى أن تنزل اليه ..
ـ الا تستطيعين اجلاءه ؟ ..
ـ كلا يا هنريك . قال انه لن ينصرف الا بعد ان يراك ..
لست ادرى ماذا أفعل ؟..

هذا الحائك العجوز هو الذى فقد مدخراته كلها بسبب افلاس وانجن ، بعـــد ان وعده بالربح الوفير . انه يحضر فى كل يوم ليحاول اللقاء بوانجن ، ووانجن يخشاه لمـا يرى فى عينيـه من نظرات مجنونة ثائرة . ولم يكن هذا الحائك هو الضحية الوحيدة لما آلت اليه حالة وانجن . فهو يتلقى فى كل يوم رسائل عديدة فى بعضها التوسل والرجاء .. وفى الكثير منها التهديد والوعيد الى جانب الشتائم واللعنات .. هؤلاء جميعا يعتقدون ان وانجن وحده هو المسئول عن الخراب الذى حل بهم .

اعاد وانجن القدح الى زوجته وهو يقول :
ـ خـذى !..
ـ ولكنك لم تتم شرب قهوتك .

تمدد فى فراشه واضعا يديه خلف رأسه وقال :
ـ لا . انك تفسدين شهوتى للقهوة ، يا كارين ..
ـ أنا ؟..
ـ نعم . لكأنك تتلذذين بذكر موضوع الحائك هذا امامى !..
أرى انه كان يجدر بك أن تبعثى بهذا الأبله الى نوربى ! .

وظل فى مكانه من الفراش يزفر زفيرا شديدا ، بينما تنهدت كارين وهى تقول :
ـ لا باس . ارجو المعذرة .

واخذت القدح وانصرفت . وظل وانجن يفكر فيما هو فيه .. لقد فشلت الخطة التي وضعهـا لاثبات براءته ، ولاقامة الدليل على ان تهمة التزوير التى يحاول خصومه الصاقها به ليست الا حلقة من حلقات المؤامرة الكبرى التى دبرت للقضاء على مصنعه .

انهارت خططه ولم تفلح كلها الا فى مضاعفة الشكوك المحيطة به ٠، وتسلطت فكرة المؤامره هذه على ذهنه ٠ وفى جلسة الجنايات القادمة هل سيصدر فيها الحكم له أو عليه ٠٠ ان الحكم عليه أصبح الآن لا يهمه ، بقدر اهتمامه بما يترتب على مثل هذا الحكم من انهيار ثقته فى وجود المؤامرة والمتآمرين ، تلك الثقة التى عاش بها طوال هذه الأيام التى انهالت عليه فيها شتى ألوان المصائب ٠ ان ضميره يؤكد له براءته ، وما كان ليطيق من زوجته كلمة دفاع واحدة فى صالح هؤلاء الأوغاد الذين يناصبونه العداء ٠ فهو يثور عليها كلما حاولت أن تزعزع فى قلبه هذه الثقة ، لانها بهذا تحرمه من آخر شيء يتعلق به طلبا للنجاة ٠

وكان وانجن يرى فيما يعتقده من وجود هذه المؤامرة المدبرة ضده سببا يبرر له مشاركة عماله فيما حل بهم من خسر وخراب ٠، وكانت كل محاولة مهما هانت من زوجته لالتماس أدنى عذر لنوربى تبدو فى نظر وانجن سعيا الى حرمانه من القوة التى يستمدها من هتافات العمال له ومن عطفهم عليه ٠

حينما غادر وانجن غرفة نومه هذا الصباح أحس بالدفء فى أرجاء البيت ، وسأل زوجته فى خوف :

— هل انصرف الحائك ؟ ٠

— نعم ٠ لقد تمكنت فى نهاية الأمر من اقناعه بالانصراف ٠

بعد تناول الافطار انصرف وانجن الى متابعة العمل الوحيد الذى شغل وقته فى الفترة الأخيرة : وهو كتابة سلسلة من المقالات لاحدى الصحف العمالية ٠ والمقال الذى هو بصدده الآن جعل له عنوانا : « يوم الثمانى ساعات وما أسفر عنه من نتائج - بقلم أحد مديرى المصانع ، لقد وجد فى كتابه هذه المقالات عزاء لقلبه ، لأنها انما تضفى على براءته نورا بقدر ما تلصق الخزى والعار بأعدائه ٠

وانطلق فى حماس يحبر سطور المقال على الورق ، وقد دس فى فمه غليونه ، واذا بالباب يفتح وتدخل مدام وانجن قادمة من المطبخ مشمرة عن ساقيها :

ـ يا عزيزى هنريك ! •• هـلا خرجت اليوم لتبحث لنـا عن مسكن ؟ •

ـ قلت لك ان من العبث البحث عن شيء الآن • مادام هـذا الاتهام موجها الى ••

وعاد يتابع الكتابة ولكن الزوجة استمرت تقول :

ـ هـل تفضـل اذن أن ترانا فى عرض الطريق ؟ ألسيت ان البيع محدد له الأسبوع القادم ؟ ••

ألقى بالقلم من يده ونظر اليها برهة قال بعدها :

ـ هلا ذهبت أنت للبحث عن مسكن ، بدلا من اقلاقى هكذا فى كل لحظة ؟ ••

ـ لم أكن أعرف انك فى شـغل بعمل هام ، يا هنريك •! أما اذا كنت تعاود كتابة المقالات بغير امضاء ضد نوربى أو ضد غيره من الملاك المجاورين ، فأنصحك بالكف عن هذا العبث الذى لن ينالك منه غير الضرر •

ـ كلما نظرت الى وأنا أكتب ، تخيلت فى الحال اننى لا أفعل الا نكرا ودناءة •• ما أكثر حنانك على ، يا كارين ! ••

نظرت اليه كارين من غير أن تفتح فمهـا بكلمة ، ثم عادت الى المطبخ تنحنى على الحوض الذى تغسل فيه ثياب الأطفال •: هذا البيت الجميل لم يعد ملكا لها ولأولادها ، ستخرج منه عما قريب •• هل تقبل على نفسها العار والخزى وهى تجوس خلال البلدة بحثا عن بيت آخر يأويها ؟ •• ألم يتنبأ لها الكثيرون بهذا المصير المظلم عندما أقبلت على الزواج من وانجن ؟ • ولماذا لايقوم هو بمهمة البحث ، ولديه من الفراغ القدر الكبير ؟ هل يجوز له أن يفرض عليها هى هذه المذلة وهذا الألم ؟ •

استرد وانجن هدوءه قليلا وقطع فى كتابة مقاله شوطا كبيرا حينما دخلت عليه زوجته ومعها طفلتهما ذات العامين وقالت :

ـ هنريك ، اعذرنى ٠٠ ولكنك نسيت أن تشق الخشب الذى طلبته منك ٠ أرجو منك أن ترعى الصغيرة بينما أتولى أنا شق الخشب بنفسى ٠٠

رفع وانجن رأسه ونظر اليها ثم تنهد وقال فى صوت متهدج :

ـ يا الهى ٠٠ ارحمنى ٠٠

ـ هل اضايقك الى هذا الحد ، يا هنريك ؟ ٠٠

ـ ظننت ان فى استطاعتك معاونتى فى هذه الآونة القاسية ، يا كارين ٠ ولكننى أرى الآن ان قاتلا قد يدخل الى هنا لقتلى من غير أن تحركى ساكنا ، ومن غير أن تكفى عن الذهاب والاياب فى هدوء ٠٠ من المطبخ الى المغسل ٠٠ تفكرين فى كل شىء الا فيما أنا فيه ٠٠ غير ناسية حتى شق الخشب ! ٠٠

ـ يجب أن تتم هذه الأشغال كلها يا هنريك ٠٠ وليس الذنب ذنبى أن يكون على الآن واجب القيام بكل شىء ! ٠٠

غضب وانجن غضبا شديدا لهذا الكلام وقام من مقعده وهو يصيح :

ـ لا ٠ هل ستعودين الى تكرار هذه النغمة الآن ؟ أقسم لك بحياتى وشرفى اننى سأعمل كل شىء لأعيد اليك نقودك ٠ ٠

انتصبت كارين واقفة وقد أصابتها هذه الكلمات كاللكمة فى وجهها ٠ وغضبت هى الأخرى وقالت :

ـ لا ٠ هذا كثير ٠٠ لا أحتمله ٠٠ لكأننى أتمنى عما قريب أن تثبت ادانتك ، يا هنريك ! ٠٠ أقول لك الحق ، ان هذه البراءة التى تسعى وراءها تجعلك يوما بعد يوم انسانا لا تطاق ٠٠

ـ ماذا تقولين ، يا كارين ؟ ٠

ـ انك فهمت جيدا ما قلت ! ٠٠ أليس كذلك ؟ ٠

وحملت كارين طفلتها وخرجت ، وبعـــد برهة سمع وانجن صوت شق الخشب فى حوش البيت فتملكه الندم ، وود لو اكتفت بقطعة أو قطعتين من الخشب بقدر ما يكفى الآن فقط ••• هل يصل أعداؤه الى حد افساد الحياة الزوجية بينهما ؟.. الى حد ابعادها منه ؟ .

وفى فناء البيت كانت كارين تشق كتل الخشب فى عناء ، وهى تلاحظ ابنتها الصغيرة التى أعطتها بعض الأغصان لتلهو بها . لقد شغل زوجها بالبحث عن براءته ، ونسى فى سبيل ذلك زوجته وأولاده وكل شيء من حوله • لم تنقض على موت وليدهما الصغير غير خمسة أسابيع ، وها هو قد أقلع عن كل ذكر له ، ومنعها من التحدث عنه •• وحالة الشك الدائمة التى يعيش فيها الآن ـ والتى جعلت من الحياة شيئا كئيبا مكروها ! ، هذا الشك بدأ ينتقل اليها هى الأخرى ـ وكأنه عدوى أصابتها وتود أن تبرأ منها ـ اذ تغيرت أحواله منذ أن انتابته حمى البراءة هذه وزادت كثيرا عن ذى قبل المرات التى يعود فيها الى البيت فى المساء وقد نال منه السكر منالا •

عندما عادت كارين الى الحجرة ، كان وانجن يسـير بخطوات واسعة فى أرجائها • قال لها :

ـ يا كارين !.. هل تعتبين على اذ راودنى الأمل فى أن تظلى أنت بالأقل مخلصة لى مستعدة للتضحية قليـــلا من أجلى ، الآن وأنا فيما أنا فيه من ضيق ؟ ••

ـ ولكن ماذا تريد منى أن أفعل ، يا هنريك ، أكثر مما افعله ؟ الا ترى انى أكد وأعمل من الصباح الى المساء ؟

ـ حقا • انك تتعبين كثيرا • هلا أقللت بعض هذا الجهد ؟ لماذا لا نبعث بصغارنا عند عمتى لفترة من الزمن ؟ أنت تعلمين انها ترحب بهم كثيرا ، ولن يكون لديك أى سبب للقلق من أجلهم ••

ـ هل تظن حقا ، يا هنريك ، ان علينا أن نفترق عن أولادنا هـــكذا ؟ •

فوقف وانجن قليلا ثم عاد يقول :

ـ هل الأمر عسير الى هذا الحد ؟

ـ بالنسبة لك .. لا ، بطبيعة الحال ..

وعادت مسرعة الى المطبخ .

كان شهر ابريل قد انتصف في هذه الآونة ، والشمس ترسل أشعتها الحارة على الأرض الجرداء ، وقد وقفت مدام وانجن فى الشرفة ، ومعها طفلتاها ، تتعلقان بذيلها تريدان النظر الى القادم . فقد سمعت كارين عند سور الحديقة سعالا تعرفه جيدا .. انه سعال أبيها ، الذى تباعدت فترات زيارته لها منذ مدة . ودخل الشيخ ، وتجاهل يد ابنته الممدودة له بالتحية ، ودفع حفيدته بعيدا عنه ، وارتمى على أحد المقاعد ، واضعا عصاه بين ساقيه ، مسندا عليها يديه المرتجفتين وقال :

ـ انه ليس هنا ، اليوم أيضا ..

ـ لا ، يا أبى .

ـ كنت من قبل أجده فى المنزل دائما .. ما الذى جرى ؟ ..

لقد جاوز الرجل السبعين ، وما زال عظيم الجثة ، يحيط برأسه شعره الأبيض الطويل ، مختلطا بلحيته التى مازالت تحتفظ ببقعة من لونها الأصفر القديم ، وقد ارتدى سترة من الصوف الأسود ، برز من بين ثناياها بطنه الضخم . قالت كارين :

ـ كيف حالك ، يا أبى ؟

ـ أنا ؟ .. على ما يرام ! .. المزرعة ستباع بأكملها .. وبعدها سيهاجر أخوك الى أمريكا .. وأبقى أنا بلا مأوى ولا مورد رزق . وعلى أن أختار : اما أن اذهب معه الى المهجر ، وما ان اثبت اسمى ضمن طالبى الاعانة من البلدية ! ..

قالت كارين فى صوت متهدج ، وهى تنظر الى الشيخ :

ـ أبتاه ! ..

ارتعشت يدا الشيخ على قبضة العصا ، وقال فى تهكم :

ـ هل ذهب اليوم أيضا ليقوم بتوعية العمال ؟
ردت عليه في صوت خافت :
ـ كلا .
ـ من الغريب أن نلاحظ ، نحن الشيوخ ، بما لدينا من خبرة طويلة : ان الرجل ، كلما هان خطره وقلت قيمته ، زاد اعتقاده انه مبعوث العناية الالهية للنهوض بالآخرين .. هل لك أن تذكرى لي ما الذي يعلمه هذا الصعلوك اؤلاء المتشردين ، وهو الذى افقدهم كل ما خراتهم من النقود ؟ !.
لم تجب كارين بشيء وتنهدت . وعاد العجوز يقول :
ـ وهؤلاء العمال ! .. ما أشد سذاجتهم هم الآخرون ! .. من أيسر الأمور تضليلهم والتغرير بهم ، ما دامت المحاضرات تنظم لهم ، والمقالات الجرائد تنشر من أجلهم ! .. انهم محرومون من الملبس والمأكل ، ولكنهم يجـــدون كل شيء على ما يرام ما دامت القصص تروى لهم ، وقصاصات الجرائد توضع في أيديهم يلوحون بها ويلعبون ! .. حقا ، نحن في زمن عجيب ! ..
ـ انت لا تفكر جديا في الذهاب الى امريكا ، يا أبي . أليس كذلك ؟.
ـ قطعا لا ، اذا اعاد الى العشرة آلاف كورون الأخيرة التي اقرضته اياها .. الم يعدنى بردهـــا بعد خمســة عشر يوما من اخذها ؟.
وعاد العجوز يضحك ضحكته الساخرة ، وابنته تقول له :
ـ تأكد ، يا ابي ، انه كان حسن النية .
ـ حسن النية ؟.. هذا بديهي .. ونيته الحسنة التي افقدتنا المزرعة والأرض .. يالها من نية حسنة .
صمتت مدام وانجن ، ومسح العجوز بيده على فمه ، ثم عاد يقول :

ـ ولقد قررت الانتقام منه . يجب أن تهجريه ، يا كارين ؟ أنت والأولاد . اذا قـدر لى ان أذهب الى أمريكا ، فمن المؤكد انى ساجد حتفى وسط المحيط . ومن الممكن ان احصل على مسكن صغير لى فى المزرعة ، فهل تظنينى اقبـل رؤية الغرباء يتمتعون بمالى تحت سمعى ونظرى ، وحيدا ، لا أحد من اهلى الى جوارى ؟ يجب ان تجيئى ، يا كارين ! .. هل تصغين الى ؟.

وسدد العجوز عليها عينيه ، ووقفت هى صامتـة ، لا تدرى بماذا تجيب . وبعد برهة هزت رأسها . وانصرف الأب غاضبا مهددا بعدم وضع قدمه عند ابنته مرة أخرى أبدا . وبعد برهة سمعت صوته من عند سور الحديقة وهو يناديها قائلا :

ـ هل فكـرت جيدا فيما اجبت به ؟ . اعلمى ان هـذه هى آخر مرة اطلب منك شيئا .

ولم تحر كارين جوابا ، وانما اشارت بيديها اشارة اليأس ، وأسرعت الى داخل البيت حيث ألقت بنفسها على احدى الأرائك وانخرطت فى البـكاء . اتهجر زوجها ؟ ! .. كلا .. كلا .. لن تتحقق نبوءة الذين توقعوا لها هذا المصير .

عاد وانجن وقص عليها أن العمال قرروا القيام بمظاهرة كبرى فى اليـوم الأول من مايو . ومن المتوقع أن تذهب جموعهم الى مزرعة نوربى .

ولمحت كارين نظرة السرور فى عين زوجها ، وهو يروى هذه القصة ، فقالت له وهى تنتصب واقفة فجأة :

ـ ارجو الا تكون انت ، يا هنريك ، الذى دبر هذه المظاهرة ؟

ـ انا ؟ بطبيعة الحال ، أنا الذى دبرتها .

ـ هلا قمت بعمل ما لتعطيل هذه الفكرة ، بالأقل ؟.

ـ ما هذا الاهتمام من جانبك بمثل هـذه الأمور الصغيرة ؟ اذا أردت منى الصراحة قلت لك لا ، لن أعمل على تعطيل شىء .

ان السلاح الوحيد الذى يمسك به العمال المساكين فى ايديهم هو امكان اظهار رايهم جماعة . ولست فى الواقع بالذى يعيب عليهم رغبتهم فى الاضراب عما يختلج فى صدورهم من المشاعر التى يكنونها لنوربى ولأمثاله من المترفين .

ـ انت على وفاق معهم ، اذن ، تؤيد ما يفعلون ! .. هذا كان رأيى فيك من قبل .

وتركته كارين ، وخرجت وهى اشد ما تكون اسفا على اضطرارها الى الحقد عليه ، بعد ان جرها معه الى الوقوف ضد العالم بأسره ، وبعد أن تيقن لها انه فى الوقت الذى يسعى الجميع الى الايقاع به ، يعمل هو على التيسير لهم والايقاع بنفسه .

فى يوم من الأيام جاء الى وانجن كتاب من مأمور التفليسة يطلب اليه فيه اخلاء البيت ، بعد أن تم بيعه هو والمصنع بالطريق الودى الى احد المشترين . واضطرت مدام وانجن الى السعى من أجل الحصول على مسكن آخر فى البلدة .

هناك على مقربة من المزرعة المجاورة يقع بيت صغير أصبح خاليا بعد نقل المدرس الذى كان يشغله . ولكن مالكه ، لارس كرنجن كان قد تقدم اليها فيما مضى يطلب يدها ورفضته ... فهل تذهب اليه اليوم لتلتمس منه العون والرجاء ؟ ... واعياها البحث والتنقيب فى مختلف انحاء البلدة ، فلم تحصل على شىء .. واخيرا اقررت ان تدوس على كرامتها ، وذهبت الى لارس كرنجن .

بعد بضعة ايام كانت عربة صغيرة تغادر البيت الجميل بها طفلان ومدام وانجن تحمل على ذراعها طفلها الثالث . وعلى بضع خطوات منها يسير وانجن مطأطىء الراس ويداه مدسوستان فى جيوبه .

كان البيت الجديد صغيرا لا يحتوى الا على غرفتين ومطبخ ، وحالته يرثى لها من الاهمال والقذارة والقدم ، فعملت كارين جاهدة على ازالة ما به من اوساخ وترميم ما يمكن ترميمه . وكان عليها

ان تدوس كرامتها مرة أخرى وتطلب من صاحب البيت أن يقرضها ثمن اللبن لاطفالها وثمن القوت لها ولزوجها . وقامت تسعى فى سبيل ذلك وهى تود لو انشقت الأرض تحت قدميها وابتلعتها .

هذا الهوان ، وهذه المذلة ! .. بسبب وانجن ! .. احست كارين بالبغض الذى يتزايد له فى قلبها ، ولم تقو على كبح مشاعر الغضب عليه . وانتهى بهما الأمر الى انعدام كل حديث بينهما فى غير الشجار والتأنيب . وازداد عدد المرات التى يعود فيها وانجن الى البيت سكران .

(٢)

بعد ان لازم إينار نوربى الفراش زمنا بدأ يستعيد قواه فى بطء شديد .. أحس بأن فترة المرض التى مرت به اشبه بدهر يفصل بينه وبين حادث بعيد .. بعيد .. انمحى اثره ولم تعد ذاكرته تعيه على حقيقته . واحس بالدفء ، والعطف الذى تحيطه به أمه واخته ، هذا العطف الذى عرفه طفلا مدللا .

ولاحظ الفتى ان اباه لم يات لرؤيته فى غرفته ، وادرك ان هناك أشياء ، يجدر به الا يذكرها والا يستعيد ذكراها لما تجره عليه من آلام هو بمسيس الحاجة الى ابعادها عنه فى تلك الآونة .

دخلت عليه انجيبرج يوما تحمل وعاء مليئا بماء ساخن وقالت :

ـ قد تكون بحاجة ، يا صغيرى ، الى غسل قدميك ! ..

اسلم اليها قدميه ، فراحت تعنى بهما كل العناية ، وهو غارق فى تأملاته .. ما اسعده لوجوده بين اهله وذويه ! .. كم من مرة فى ليالى الحمى الأولى اصابه الرعب كلما مر بخاطره أن اولئك

الذين يبذلون له العطف والرعاية هم انفسهم الذين فكر فى خيانتهم والغدر بهم من قبل ! . كم من مرة صرخ فى هذيانه وهو يرى اثناء هذا الخاطر ؛ وجه وانجن الشاحب قابعا فى قرارة السجن ، بسببه هو ! .. وبينما اخته تجفف له قدميه فى حنان توجه الى الله بالشكر لما حال بينه وبين الحاق الأذى باهله الطيبين فكل ما مر بخاطره فى اثناء مرضه لم يكن الا وهما من أوهام الحمى التي لازمته طويلا .

ومرت الأيام ، وأخذ اينار يفكر فى اللحظة التى سيقابل فيها اباه ، ويعتذر له عما بدر منه . فيصرخ مناديا امه الى جواره . وتقبل الأم مسرعة فلا يجد سبيلا الا الافصاح لها عما فى نفسه فيقول :

ـ اماه ! .. كم انت شاحبة هزيلة ! .. ما أطول الليالى التى مرت بك ! .. رباه ..

ـ لا تقلق لهذا ، يا بنى .. كيف حالك الآن ؟ هل بك حاجة الى شىء ؟.

وتفعل هذه الكلمات فعل السحر فى قلبه ، فينسى هواجسه ويستعيد الهدوء لساعات طويلة .

وفى صبيحة احد الأيام دخلت عليه انجيبرج وفى يدها غصن اخضر به براعم متفتحة وقالت :

ـ رسالة أحملها اليك من الربيع . يجب أن تسرع بالقيام والخروج لترى كيف أعدت لك الحديقة .

واذنوا له اخيرا بمغادرة الفراش فذهب الى النافذة ينظر من خلالها . ورأى رهطا من الفتيات تجرى وتضحك فى فناء الدار مسدلات شعورهن الذهبية . ابتسم اينار وهو ينظر اليهن ، فكم شارك وهو طفل صغير الصبايا والصبيان اللعب فى هذا الفناء ! ان كل ركن من الأركان هنا تثير فيه الآن ذكريات عذبة

اوثق ما بينه وبين هذا المكان من روابط ؟ وما بينه وبين سكان هذا المكان من صلات ..

جاءته انجيبرج يوما تقول مبتسمة :

ـ هل تدرى ماذا يفعل أبوك الآن ؟..

قال اينار فى صوت خافت وقد ادار وجهه ناحية الحائط :..

ـ أبى ؟..

ـ نعم .. انه يبنى لك بيتا صغيرا فى المراعى المرتفعة . فقد أوصى الطبيب بأن تقضى الصيف فى أعلى الجبل .

استدار اينار نحو اخته فى سرعة وهو يبتسم كالطفل الذى يلقى العفو بعد شقاوة ارتكبها . فهذا هو أبوه يفكر كما يفكر الآباء جميعا ، ويكلف نفسه المشقة من أجله .. وبعد صمت قالت انجيبرج :

ـ انه يتتبع أخبارك ؟ ويسأل عنك مائة مرة كل يوم . واثناء اشتداد مرضك لم يكن ينام ولا يأكل .

شد الفتى على شفتيه . فقامت اليه اخته وجففت وجهه بمنديلها وقالت :

ـ اذا لم يكن قد جاء ليراك حتى الآن ، فلأنه يريد أن يجنبك الجهد والانفعال . ثم هل تأمل منه ان يأتى اليك قبل ان يعرف ما ظنك به ؟.

شد اينار على شفتيه مرة اخرى ، وكأن به آلاما توجعه .. فقالت انجيبرج :

ـ هل اسعى لدى أبى ليجىء اليك ، يا اينار ؟.

ـ نعم ..

قال توربى لزوجته ان ازمة يسيرة كانت قد ثارت بينه وبين اينار . وانه لن يدخل الى غرفة المريض الا بعد ان يسترد صحته

ويصبح قادرا على التحدث معه فى هذا الشأن . لقد تجسمت فى ذهنه ، مع مرور الوقت ، الفكرة التى راودته من قبل .. ان خصومه هم الذين اثاروا ايثار ضده . اى واحد من هؤلاء الخصوم يا ترى ، هو الذى نجح فى تدبير هذه الفعلة الشنعاء ؟.

لقد انتظر الرجل فى قلق شديد ، طوال الأيام العديدة ، أن يدعوه اليه . فما كان له ان يبـــادر هو الى اللقاء ، بعد الحديث العاصف الذى افترقا على أثره . فهل ينزل عن كبريائه الآن ؟ هل يرد اليه ابنه ؟.. لقد حلت الساعة التى طالمـا تمناها واشتاق اليهــا ..

صعد نوربى الدرج فى خطوات وئيدة ، وهو يســتند الى الحائط ، ودخل غرفة ابنه ، فهاله شحوبه وهزاله وشعيرات اللحية التى نبتت اثناء مرضه . وكان ايثار ما يزال دامع العينين ، وهو يمد يده الى ابيه ، مصحوبة بابتسامة قلقة . جلس الرجل وتناول اليد الممدودة اليه .. فألفاها ضعيفة مبتلة طرية خشى أن تتهشم فى يده لو ضغط عليها . وأحس ايثـــار بحالة الاضطراب التى تملكت اباه فاجهش فى البكاء وقال :

ــ اعف عنى ، يا أبى ..

قام الأب يصلح الغطاء حول الفتى ، ويقول فى صوت مختنق :

ــ لا تتكلم عن هذا الأمر . لا أريد لك أن تجهد نفســك الآن بمثل هذه الأشياء ، فلن يكون لك منها أى خير .

ولمـا عاد الرجل الى غرفة مكتبه بعد برهة ، وجلس فيهـا وحيدا ، اغرورقت عيناه ، ورفع راسه الى السماء وقال :

ــ الحمد لله . شكرا لك يا ربى . شــكرا لك اذ أعدت الى ابنى ..

وفيما هو يبتهل الى الله ويشكره مرت بخاطره فكرة اولئك الذين ارادوا به وبابنه سوءا ، وحاولوا افساد ما بينهما . انهم

لم ينجحوا فيما اعتزموا وساءت مقاصدهم وفشلت اغراضهم ؟
وظل هو الأقوى . وانجن ومن معـــه برزوا الى ذهنـه كالقوى
الخبيثة التى ربما عادت مرة اخرى الى اعمـــالها الشيطانيـة
ومحاولاتها الجهنمية . لا ، يجب احباط عمل هذه القوى الشريرة
يجب منع أذاها الى الأبد .. يجب ان يرحل وانجن عن البلدة ..
يجب الا يكون له بها اى أثر . الا يكفى ما احـدثه من ضرر ؟ ان
السجن جزاء قليل على ما ارتكب ، أما جزاؤه الحق فهو النفى ،
ولا شيء غير النفى ! ولم ندر بخلد نوربى فى ثورة غضبه هذه انه
قد ضمن وانجن فعلا ، وان وانجن برىء مما هو منسوب له ..
لم يفكر فى هذا . ولو حدثه به أحد فى تلك اللحظة لهـوى عليه
بالكلمات .

ــ شكرا لك يا ربى .. شكرا لك .. ولكن هذا لا يكفى ..
يجب ان يطرد وانجن من البلدة ..

(٣)

جاء اليوم الذى اضطر فيه ابو مدام وانجن واخوها الى مغادرة
مزرعتها . وقررت هى ان تصحو مبكرة لتذهب اليهما ، وتكون
بجوارهما فى تلك اللحظات القاسية . ولـكن ما كادت السـاعة
تدق الرابعة من الصباح حتى سمعت دقات متوالية على بابها .
أسرعت تفتح فى ذعر واذا بها ترى أخاها امامها . وقد بدا عليـه
الاضطراب :

ــ ماذا حدث ؟..

قال الأخ فى صوت مختنق وهو على الباب :

ــ ابى ! ..

ــ لمـاذا لا تدخل ؟.. ما الذى حدث لأبى ؟..

لم يجب الشاب وانما دخل والقى بنفسه على أحد المقاعد .
وتولاها خوف شديد أعجزها عن معاودة السؤال ، وظلت واقفة
تنتظر . بعد برهة قص عليها أخوها في حذر كيف اختفى الأب
منذ مساء الأمس ، وكيف جرى البحث عنه في كل مكان ، وكيف
وجدوه في نهاية الأمر في جرن المزرعة .. وقد انتحر شنقا ..

حينما استيقظ وانجن وجد زوجته في حالة اضطراب شديد !

ـ ماذا حدث يا عزيزتي كارين ؟.

ـ لا شيء .

في هذا اليوم راحت كارين ، ككل يوم ، تباشر شئون بيتها .
أعدت كبرى بناتها للذهاب الى المدرسة ، تولت أمر طفليها الآخرين
وذهبت كالعادة لاحضار اللبن والطعـــام . وكانت صورة ابيهـــا
العجوز تلاحقها في كل مـكان . لقد فضل المسكين الموت على أن
يفقد مزرعته التي ورثها عن آبائه . انها تراه هناك معلقا من عنقه
النحيل في ذلك الجرن الذي طالمـــا مرحت في أرجائه وهي طفلة
تسمع صوته يردد في أذنها

ـ هذا نتيجة خطاك . لماذا اخترته من بين من تقدموا لك ؟.

ولما علم وانجن بالنبأ المفجع ظل بلا حراك ، وقد وضع يديه
على وجهه ، وهو يتخيل هذا الرجل العجوز الذي الجـــأه هو الى
الموت بعدم تبصره . واستولى عليه الندم . ثم قام فجأة وقال :

ـ هذا كثير يا كارين . لم أعد أستطيع تحمل كل هـــــذه
الضربات بمفردي . يجب أن تعاونيني أنت ..

ـ بل يجب أن تعاونني أنت على تحمل ما أنا فيه ..

ورآها فيما بعد ، أثناء النهار ، جالسة ساهمة لا حراك بهـــا
تنظر اليه في اصرار ، فلم يفهم هل هي نظرة الاشفاق أم نظـــرة
البغض . هل تلقي عليه مسئولية انتحار أبيها ؟. أليست محقـــة
بعض الشيء فيما يخـــالج ضميرها من هذا ؟. ولـــكن الا يكفي

ما يعانيه هو من آلام وما يتخبط فيه من محن ، لتضيف الى ما يثقل كاهله هذا الاتهام المرير ؟. وتوالت الأفكار فى ذهنه حتى أحس بالحقد عليها ووصل الى حد القاء جانب من مسئولية ما حدث كله عليها ...

وظل الرجل وزوجته على هذا الوضع ، يخشى كل منهما الآخر من غير أن يتبادلا الحديث . وخيم الشك وسادت الريبة بينهما .. لقد طردا من البيت الجميل الذى عاشا فيه أسعد سنوات العمر ، وها هما الآن فى هذا المسكن الضيق الذى يذكرهما بكل شىء فيه بالمأساة التى حلت بهما ، ويعمل على زيادة الفرقة بينهما .

جلست مدام وانجن فى مطبخها تطهو بعض الحساء لأطفالها ، وأخذت تنظر الى نار الموقد فى رعب ، فقد شاهدت وسط اللهب صورة أبيها معلقا من عنقه يشير اليها باصبع الاتهام .. انها هى .. هى .. وليس وانجن .. سبب النكبة .. لأنها هى التى أدخلت وانجن فى الأسرة ، وجعلت منه نذير السوء والخراب بين صفوفها . وفار الحساء من غير أن تدرى ، فقد كان شبح الأب يخيفها ويمد نحوها يده .. تجمدت أوصالها ، وأسرعت تطلب الفرار وهى تتساءل :

ـ هل وانجن هو السبب فى كل ما حدث ؟. ألم يكونا سعيدين معا قبل هذا الافلاس المشئوم ؟. ان الافلاس هو الذى جلب المصائب كلها . أما وانجن فهو برىء . واتهامات الأب اذن لا تنصب على وانجن ، وانما على أولئك الذين دبروا له خيوط المؤامرة الدنيئة ، وتهمة التزوير ، وكل ما حدث من آثام .. وهكذا وجدت كارين فى براءة زوجها لوح النجاة الذى تتعلق به فى محنتها . انه برىء .. يجب أن يكون بريئا ..

خرج وانجن متوجها الى مزرعة حميه ، ليلقى نظرة على الرجل الميت . ولكنه لم يقو على هذا ، فعاد الى البيت حيث وجد زوجته وحيدة ترتق بعض الثياب .. ولم ير للأطفال أثرا . جال ينظره فى أنحاء الغرفة وقال :

ـ أين الأطفال ؟٠

أجابته كارين فى صوت خافت وهى تنظر اليه :

ـ تخلصت منهم !٠

داخله الشك والرعب ، وأسرع الى الغرفة الأخرى يفتح بابها :

ـ قولى لى أين هم ؟٠

قالت فى نفس الصوت الخافت الحزين :

ـ استدعيت عمتك ، فجاءت على عجل ٠ أخذتهم وانصرفت منذ لحظة ٠٠

واذ رأته واقفا حائرا ، ينظر اليها فى رعب ودهشة عادت تقول :

ـ رأيت أن فى هذا فائدة لك ، يا هنريك ٠ اذ أيقنت انى أستطيع معاونتك فى شىء ، اننى رهن اشارتك دائما ٠٠٠

بدت له هذه الكلمات غامضة ، فنسى أن يشكرها ٠ وحينما أوى الزوجان الى مخدعهما بدت لهما الغرفة خالية مخيفة ، اثر غياب الأطفال منها ، والصمت الضارب فى أرجائها وعلى الرغم من رغبتها فى تجسيم براءة زوجها وفى العمل على ادخال العزاء الى قلبه ، وبذل ثقتها له ، لم تجد بدا من الاصرار على الصمت وعدم مبادلته الحديث ٠ ظل كل منهما فى فراشه مفتوح العينين ينظر الى الفضاء ، وكأن كلا منهما يخشى الآخر ، فلا يقدر على اغماض جفنيه ٠ وزالت بزوال الأطفال الحاجة الى النهوض من وقت لآخر من الفراش لاحكام الأغطية حول الصغار النائمين ٠ وتزاحمت الأفكار فى رأسيهما ٠

ها هى ذى ترى اياها ، كما كان فى آخر زيارة لها ، وهو واقف فى الحديقة يحدثها عن زواجها من وانجن ، ويعيب عليها سوء اختيارها ٠٠ لم يعد الآن من سبيل لاصلاح الخطأ وقد

نفذ السهم الى الأبد . انّ صوت أبيها ما زالّ يرنّ فى مسمعيها :
ــ ماذا فعلت ؟. ماذا فعلت ؟.

أما وانجن فقد ارتسمت فى ذهنـــــه صورة اللحظـــة التى اقترض فيها النقود من حميه . كم كذب فى ذلك اليـــوم ، وكم بالغ ، وكم بذل الوعود الواسعة !. وكان هو نفسه شديد الثقة فيما يقول . ألم تسكن هذه طبيعته فى كل ما أقدم عليـــــه من مشروعات ، كان الجانب الأكبر منها أحلاما وحماسا ؟. يا لهـا من أوهام تلتها يقظات مريرة !. والآن ها هو محكـوم عليه بأن يجرجر وراءه الى الأبد جثة العجوز المنتحر !.

أحست كارين بالاضطراب الذى يتقلب فيه زوجها . هل هو المخطىء الوحيـــد ؟. أليست هى شريكة له فى الخطأ ؟. لا . انه برىء .. يجب أن يكون بريئا .. من أجل راحتها هى أيضا . وأخذتها الشفقة به ، فمدت يدها من تحت الغطـــاء الى حيث يد زوجها وقالت له :

ــ ضم يدى الى يدك ، يا هنريك !.

هذه اللمسة الخفيفة بين يديهمـــا أعادت الى مخيلتهما ذكرى أيام زواجهما الأولى . ولم يستطع خيال أبيها الماثل أمامها معلقا من عنقه أن يمنعها من الضغط على تلك اليد فى كفها ، ولم يعد أحد منهما يحصر تفكيره فى ذاته فقط ، وانما سرت فى قلب كل منهما الشفقة على الآخر وسرى الحنان بينهما :

ــ مسكينة .. مسكينة يا عزيزتى .. ان آلامك هى الكبرى، ومصابك هو الأقسى !..

ــ كلا ، يا هنريك . بل ان ما نزل بك لأشد وأمر !.

ــ أنا رجـــل ، يا كارين !.. ثم ، ألم يكن هو والدك انت أيضا ؟.

بعد برهة صمت قصيرة عادت كارين تقول :

ـ يا الهى ! .. كلما فكرت فى أن شيئا مما حدث لنا ما كان ليحدث لو أن اولئك الذين أرادوا لك الخراب لم ...

وراحت تبحث عن كلمات تكمل بها التعبير عن فكرتها ، ولكنه فهم ما تريد وقاطعها قائلا :

ـ لا . ما كان ليحدث لنا شيء مما حدث ..

جعلت هذه الكلمات منهما ـ وفى اعتقادهما ـ بطلين من أبطال العدل والحق . وأنزلت كلمات الزوجة فى قلب زوجها العزاء ، وتبدد ما كان يخشاه من شكها وظنونها . وفى الخارج كان المطر يتساقط غزيرا وصوت جريان مائه فى جوار البيت يسمع عاليا . بعد برهة عادت الزوجة تقول :

ـ ألا يمكن أن تكون أرملة هارستاد قد أرغمت قسرا على امضاء هذا الاقرار ؟.

ـ يجوز .. يجوز جيدا ..

حاول الزوجان النوم ، ولكن النوم استعصى عليهما ، وحلا الحديث بينهما . بعد فترة صمت قال وانجن :

ـ سيهاجر العمال ، أو معظمهم ، الى أمريكا ..

ـ سينتهى الأمر بكل من فى يده حرفة الى الهجرة .. مادام الحال هنا فى هذه البلاد على ما هو عليه الآن ..

أحس وانجن بارتياح لسماعه كلمات زوجته . انها تشاركه الرأى وتقاسمه التفكير وتنضم الى صفه . ما أسعده بهذا التوافق

الذى يثلج صدره ويعيد للحياة شيئا من بريقهـــا الجميل فى ناظريه ... وبعد لحظة صمت قالت كارين :

ـ وأنت .. ألم تضع مشروعا لانشاء صندوق للمعاشـــات لهم ؟.

ـ لو انهم تركونى أكمل السير فى الطريق الى نهايته !..

ـ لقد عاش عمالنا فى رغد حتى الآن ، يا هـنريك . كانوا سعداء حقا . أتذكر سرورهم وحبورهم عنـــدما كانت زوجاتهم تأتين اليهم بالطعام فى العمل !.

ـ نعم . نعم . لقد تبدل كل شىء الآن .

وهكذا مرت الساعات ، والرجل وزوجته فى حـديث تتخلله فترات من الصمت .. كلمات قليلة ، من وقت لآخر ، كأعواد من الحطب تغذى بها نار الحديث لماما لكيلا تخبو .. قالت :

ـ ألا تظن ان المساهمين كانوا يحصلون على ربح مجز من أموالهم ، لو انهم تركوك تسير فى هدوء ؟!

ـ بالتأكيد . لقد كان مصنعى يتقدم حثيثـــا فى طريق النجاح ، الى اليوم الذى ركب فيه الخوف رءوس كبار الملاك ..

ـ يا الهى !.. اليوم فقط أدرك مرارة الخيبة التى منيت بها آمالك ، وقسوة الفشل الذى فرض عليك ظلما ..

ساد الصمت بينهما برهة عادت بعدها كارين تقول :

ـ سامحنى يا هنريك ! .. لم أقف منك الموقف الذى كان يجب على أن أقفه ..

ـ أسامحك ؟ . لا يوجد ما أسامحك عنه ، يا كارين .. لقد كنت كريمة شجاعة ، وتقبلت كل ما أصـابنا فى عزم وثقة .. سوف أكون لك دائما المساعد والمعين .

ـ لا تقل هذا الكلام ، يا هنريك !. كم أدرك الآن كيف شلت هذه الضربة من يدك ، وكم أصابت من جدك ونشاطك !.

وهكذا استطال الحديث بينهما ، وامتزجت بينهما العاطفة ، ودخلا متشابكى الأيدى الى عالم البراءة .

ـ ٤ ـ

أقبل الربيع مبكرا هذا العام ، وعنـــدما سار القس بورنج صاعدا الى مزرعـــة نوربى كانت الأشجار مكســـوة بالأوراق الخضراء ، وفى الهواء رائحة العشب النـامى . كان القس ممسكا بحقيبته متجها الى حيث يقطن العامل العجوز ، لارس كرنجن ، ليقدم له العون الدينى وهو على فراش الموت . ويقع بيت العامل على مقربة من الدار الكبرى التى يسكنها نوربى فوق التل . رأى القس فى الطريق كثيرا من الأشـجار الصغيرة وقـد اقتلعت من جذورها وكثيرا من الأغصان وقد تكسرت وانهارت . لقد مر العمال فى مظاهرات أول مايو من هذا الطريق .

وقف القس أمام كنوت نوربى ، الذى كان فى حديقته يعنى بها ، وقال له :

ـ انه لمنظر قبيح بعد مرور المتظاهرين من هنا . ما أظن الخمر وحدها قد أفسدت مشاعر هؤلاء العمال . بل لا بد أن هناك خمرا أخرى .. خمرا معنوية أكثر خبثا من الأولى .. قد صبت لهم فى عقولهم فجعلتهم من الأشرار .

تظاهر نوربى بالدهشة ، وأخـــذ يضحك ، وهو يستند الى فاسه ، وقال :

ـ العمال ؟. لا شأن للعمال بهـذا التلف الذى تراه . انه ناشىء عن الريح العاصفة التى هبت طوال الليـل ، وصنعت ما صنعت بالأشجار الصغيرة والأغصان الغضة .

انصرف القسيس متخاذلا ، وهو يفكر فى هذا الكبرياء الذى يبديه نوربى ، وفى هذا العزوف عن اثارة الشفقـــة به والرثاء لحاله . وصعد على التل حتى وصل الى بيت العامل . وجده فى فراشه وقد ألبس أفخر ثيابه وأمسك بكتاب الصلاة بين يديه . وجلست زوجته الى جواره مرتدية هى الأخرى ثياب يوم الأحد . لقد استعد البيت ومن فيه لاسـتقبال القس أحسن اسـتقبال مستطاع .

صافح القسيس زوجة العامل المريض ثم توجه اليه يسأله عن حاله . ولكن الزوجة أسرعت تجيب عنه :

ـ يا الهى ، لقد خفت أن يقضى قبل مجىء سيدى القس

أمسك رجل الدين بيد المريض ، فالفاها جافة باردة ، فوق القميص الأبيض الناصع ··· وجه شاحب متجمد ، وعينـــان لا حركة فيهما ، وفم يبدو ميتا لولا مضغة الطباق، التى يلوكها من وقت لآخر · قال القسيس :

ـ هل تخشى الموت ، يا عزيزى لارس ؟·

وجاء الرد على لسان الزوجة ، قالت :

ـ هناك شيء بلا شـــك يريد الاعتراف به لك يا ســـيدى القس ·

ـ حسن ·· حسن ··

ونظر القسيس الى الرجل المحتضر فى عطف يدعوه الى الافصاح عما فى صدره · وفجأة ألقى الرجل ببصقة كبـــيرة على أرض الحجرة وقال وفى عينيه نظرة حائرة تبحث عن القس :

ـ أردت أن أعترف لك بشأن تلك الجلسة ·

ـ قضية وانجن ونوربى ، أليس كذلك ؟·

وقالت زوجة المريض لتكفى زوجها مشقة الكلام :

ـ أحس بالحاجة الى أداء الشهادة ، ولكن الجـــرأة خانته ، فأحجم عن الادلاء بأقوال ضد نوربى ·

نظر القس الى لارس فى انتظار ما سينطق به ، ولكن لارس عاد يلوك مضغته ، وهو ينظـــر فى قلق الى القس · وأخيرا بصق على الأرض وقال :

ـ هل تعتقد يا سيدى القس ان هذه الخطيئة ستغتفر لى ؟.

ابتسم القس بورنج وقال :

ـ ولم لا ؟.

ـ حتى ولو كنت قد أحجمت عن شهادة الحق ، بعد أن طلب منى الرب أن أؤديها ؟.

ـ وهل كنت متأكدا من معرفة الحقيقة ، يا لارس ؟.

وعادت الزوجة تقول :

ـ ما دام قد صاحب نوربى الى المدينة فى اليوم الذى وقع فيه على العقد .. وهو الآن يخشى ألا يغفر له هذا الذنب ، وقد قلت له ان الله يغفر الذنوب جميعا ، أليس كذلك يا سيدى ؟.

وأحس القس الذى كان ينظر الى موضع قدمه ، ان عينى المريض سلطتا عليه تنتظران على السؤال جوابا .

لو كان القس بينه وبين نفسه لقال :

ـ حتى لو غفر لك أيها المخطىء ، ولو ذهبت الى الجنة بغير حساب عن ذنبك هذا ، فهل يخفف هذا من الآلام التى يعانيها وانجن بسبب خطيئتك ؟.

وأفاق القس على صوت المريض يقول :

ـ هل يظن السيد القس ان ذنبى هذا سوف يغفر لى ؟.

واضطر القس الى أن يرفع رأسه ويجيب :

ـ نعم ..

ـ هل يقبل السيد القس أن يتلو معى صلاة قصيرة ؟..

وقف القس وضم يديه الى صدره . ولكن ماذا يقول فى صلاته وقد اتجه فكره كله الى وانجن ؟. وانتهت الصلاة ، وبكت زوجة لارس ، وعاد الرجل المحتضر يقول :

ـ هل يتفضل سيدى القس بأن يقدم لى سر المناولة المقدس ؟

فتح القس حقيبته وأخرج منها ما يلزم لهذه المناسبة :

الرداء الكهنوتى ، والنبيذ المبارك ، والكأس المقدسة ..

واقترب بالكأس من شفتى المريض ثم قال له :

ـ اسمع ، يا لارس . ستنظر القضية فى الأسبوع القادم أمام محكمة الجنايات . هلا كلفت زوجتك بالذهاب الى هناك وأداء الشهادة نيابة عنك ؟. هل تقبل ذلك ؟.

نظر المريض الى الكأس المقدسة أمام عينيه وقال :

ـ نعم . أقبل .

تنهدت المرأة وأسرعت الى زوجها تنزع مضغة الطباق من فمه. وتمت مراسم المناولة بطقوسها التقليدية . وخلع القس رداءه وأعاده الى الحقيبة ، ثم جلس الى جانب فراش المريض .

بدا لارس وكأنه كان ينتظر ، ليسلم الروح ، ان يؤدى له هذا الواجب ، وان ينال العفو والغفران . فقد أخذت أنفاسه تضعف،

. واستعد القس للانصراف • عندئذ فتح المريض عينيه ، ونظر الى زوجته فى عطف ، وقال :

ـ لا • يجب ألا تذهب للشهادة ، والا حرمها نوربى من سكنى البيت •

فوقف القس لحظة وقال : وهو ينظر اليه :

ـ اذن • فليكن ما تريد •

وارتسمت ابتسامة على وجه لارس العجوز . فقد تكشفت له فى هذه اللحظة أسرار الحياة وأسرار الأبدية • ومالت رأسه وسط الوسائد ، وأرسل حشرجة قصيرة ، انتهى بعدها أجله •• وأسرعت الزوجة الى حيث ترقد جثة زوجها ، وضمت له جفنيه •• ثم التفتت الى القس وقالت فى صوت متهدج :

ـ الحمد لله • أنا الآن على يقين من أن لارس مات قديسا ••

عاد القسيس وحقيبته فى يده . وفى الطريق جلس على حجر فى سفح التل ، وأخذ ينظر الى البلدة المنتشرة تحت قدميه • لقد منح لتوه العفو والغفران للارس الذى قضى نحبه ، ومن قبل منح طوال السنين العديدة مثل هذا العفو ومثل هذا الغفران لآلاف من البشر ، ماتوا وهم يعتقدون انهم ، بما بذل لهم ، قد صاروا مبرئين من الدنس أطهارا • انه يدرك الآن ما فى هذه الطقوس من سخف •• لقد نال لارس كرنجن ما كان يصبو اليه من غفران ، ولكن هل يجوز أن يغفر له على حساب وانجن المسكين ؟• ربما حكم على وانجن البرىء ، رغم العفو الذى ناله لارس كرنجن • وماذا يكون حال أسرة وانجن التى سيصيبها الضرر من هذا الحكم ؟• هل

غفرت هي الأخرى وسامحت ؟• ان السيئة لا تقف آثارها عند حد ، وانما تتوالد منها سيئات تمتد وتنتشر كالوباء الضارى ، فلا يوقفها أحد • فلمن يكون العفو اذن ؟• ومن الذى يعفو ؟• وهل يجوز العفو بغير رضـــاء الأبرياء الذين أضرت بهم السيئة وقتلتهم ؟•

تضاربت هذه الافـكار فى ذهن القسيس ، فعاد الى منزله يتملكه الحزن والخجل معا !!

— ٥ —

انتظرت مدام وانجن بفارغ الصبر المظاهرة العماليـــة التى أخبرها عنها زوجها • فقد أصبحت ترى فى مثل هذه الأساليب التى ينادى بها زوجهـــا والتى كانت تكرهها من قبل وســـيلة للانتقام • ولكن فى اليوم المحدد للمسيرة الكبرى جاء العمال وهم سكارى ، فأثاروا أهل البلدة كلها ضدهم ، وأدرك وانجن ، كما أدركت زوجته ، ان هؤلاء الحمقى قد أضروا بوانجن قدر اضرارهم بأنفسهم • فما من أحد كان يجهل ان وانجن هو المنظم والمحرض لهذه الحركة العمالية النكراء ، التى انتهت الى التخريب والشغب •• وهكذا أصبح ألد أعداء نوربى يعطفون عليه وينصرفون عن وانجن •

وكلما اقترب يوم المحاكمة الجنائية أحس وانجن بالخوف من عدم وجود شـاهد يقف الى جانبـه • وكان ، وهو فى فراشه ،

يستعيد الظروف التى صاحبت امضاء العقد ، ليزيد تأكده من براءة ساحته • فجال فى خاطره واضحا جليا المشهد الذى جرى ذلك المساء فى المقهى الكبير • لم يكن فى أول الأمر على يقين كامل من أن امضاء العقد تم فى ذلك المقهى • ولكنه أصبح ، بعد أن ذكر ذلك وكرره مرارا عديدة أمام الناس ، مقتنعا بوقوعه بالفعل • وكلما عاد الى ذكر هذه الواقعة ازداد اقتناعا بصحتها ويقينا بوقوعها • انه يذكر الآن جيدا المكان ، وألوان الطعام ، بل وطعم القهوة التى قدمت بعد الغداء • انه يذكر الأشخاص الذين شاركوا فى الطعام : نوربى وهارستاد وهو • ولكن ألم يكن معهم رابع ؟• شخص رابع يشهد بكل ما حدث ؟•

وراح يبحث فى ذاكرته عمن يكون هذا الرابع • هل اشتراه خصومه هو الآخر ، لكى يمتنع عن الشهادة ؟• وأخذ يستعيد المشهد كما يصوره له خياله • وانتهى به التفكير ، كما دفعه الأحساس بالظلم ، الى نشوء اعتقاد راسخ فى ذهنه بوجود هذا الرابع ، الذى يرجى منه قبول الشهادة • ولكن من هو ؟• وكلما مرت الأيام التى تقربه من تاريخ المحاكمة ، ازداد غيظه مع ازدياد دأبه على الكشف عن هذا الرابع المجهول ، الذى سيحمل له البراءة والنجاة •

فى أحد الأيام أسر وانجن الى زوجته بما يشغل باله • فاصغت اليه فى اهتمام ، وشجعته فى عزم على الاستمرار فى البحث والتنقيب • وصار هذا الشاهد الرابع موضوع الحديث الدائم بينهما • واستمر وانجن يقلب فى أغوار ذاكرته ، الى أن قال لكارين يوما ، وقد انتفض واقفا :

— أما هذه المرة ، فقد عرفته !••

انتفضت الزوجة هي الأخرى وأسرعت تقول في لهفة :

ـ هنريك !.. من هو ؟.

ـ راسموس برودورسون .

بدا الانفعال على وجه كارين ، وضمت يديها الى صدرها وهي تقول :

ـ الحمد لله .. الحمد لله .. ولكن راسموس برودورسون في أمريكا الآن !..

ـ لا بأس .. ربما عثرت على رسالة منه فيها اشارة الى الواقعة ..

وانصرف وانجن الى أكوام الرسائل التي عنده يبحث فيها ، وأعاد قراءة كل ما وصل اليه منذ سنوات من راسموس صديق طفولته . لم يعثر على شيء في أول الأمر ، وانتابته كما انتابت زوجته ، حمى القلق . وعاود الرجل البحث في أكوام أخرى من الرسائل والأوراق العتيقة ، وظل كذلك أياما . وفي كل مرة تقبل عليه زوجته تسأله :

ـ هل عثرت على شيء ؟.

فيجيبها ، ليبقي على آمالها ، وليستر يأسه :

ـ مازلت أبحث .. والأوراق الباقية كثيرة !..

فتتركه في هدوء وتنصرف الى شئونها . ويبادر هو الى

البحث والتقليب ، الى أن بقيت أمامه الربطة الأخيرة من الرسائل فقال في نفسه :

ـ انها هنا بلا شك !..

واخيرا جاء وانجن الى زوجته متهللا .. انه لم يجد الرسالة المرتجاة بعد ، ولكنه على يقين من انه سيجدها ، قبل حلول المساء وكادت كارين تجن من الفرح ، وقد اعاد اليها هذا الوعد من زوجها البشر الذي افتقدته طويلا . وتناول الزوجان طعام الغداء في مرح ، واكثرت كارين من الضحك والحبور والدموع ايضا . بعد الغداء دخل وانجن الى غرفته واغلق الباب عليه ، ولم تشأ زوجته أن تقلقه . وظلت تتلظى على احر من الجمر ، وهي تبتهل الى الله ، وتسأله التوفيق واحقاق الحق واظهار العدل .

وفتح الباب وخرج منه وانجن ، وعلى شفتيه ابتسامة عريضة وفي يده ورقة :

ـ هذه هي الرسالة ، يا كارين !.

وصرخت كارين وارتمت على صدر زوجها ، وانتزعت منه الرسالة ، وراحت تقرؤها في لهفة . انها ترجع الى سنتين مضتا وفيها ذكر لوليمة فاخرة ، وفي ذيلها سطور .. حقا ، لقد ذكر كل شيء بوضوح وتفصيل في هذه الورقة .. وتعلقت كارين في عنق زوجها تقبله .. وتأخذ رأسه بين يديها ، وتنظر في وجهه بفرح ، ثم قالت له :

ـ لماذا لا تقبلني ؟ لماذا لا تقفز وتطير في الجو ؟ يا الهي أوشك ان يغمى علي ..!

وراحت تعيد قراءة الرسالة مرة اخرى ، ولكنها توقفت فجاة .. ما هذا ؟ لقد تجمد الدم فى عروقها .. هذا الخط .. انه يشبه خط وانجن شبها عجيبا .. رفعت عليه عينيها ، ولم تستطع ان تقول له شيئا .. فابتدرها هو قائلا فى سرور :

ـ حينما أقدم هذا المستند الى المحكمة .. اظن انه سيكون كافيا ..

ـ هذا طبيعى .. يا هنريك ، هذا طبيعى ..

حاولت ان تحتفظ بالفرحة على وجهها ، ولكنها جلست على أحد المقاعد ، وتاهت بنظرها فى الفضاء ، وهى تقول فى نفسها :

ـ ماذا فعل ، يا الهى ؟ ماذا فعل ؟ كان الله فى عوننا .

واحست بانهيار شامل فى كيانها ، وبالضياع من حولها .. لقد فهمت كل شيء الآن ، ورات فى زوجها الرجل المذنب فى كل ما حدث .. مستحيل .. مستحيل .. كيف حدث هذا ؟ لعلها مخطئة فيما دار بخلدها .. وهى لم تعد تريد رؤية الرسالة ثانية . اعادتها اليه ، وطلبت منه وهى تبتسم ان يحتفظ بها فى مكان امين .. وتمنت الى الله ان تفيدهما هذه الورقة فى شيء .. أى شيء ولو كان قليلا .

(٦)

كان اينار نورتى على باب كوخه الجبلى يوما يتلقى اشعة الشمس ، واذا برجل يمر من أمام الكوخ ويقف ليتحدث اليه قليلا ، وينقل اليه جانبا من اخبار البلدة . وعرف منه اينار ان

وانجن يحاكم اليوم فى محكمة الجنايات ، وان ابنة الطبيب قد حضرت الى الجبل لتقضى أياما فى كوخ لها هناك . واختلطت فى ذهن الشاب ذكرى وانجن بذكرى تلك الفتاة الحلوة التى قضى بصحبتها وقتا جميلا ليلة عيد الميلاد الأخير وراقصها طويلا امام أعين الجميع .

لقد عاش اينار تلك الأيام فى أعلى الجبل سعيدا بعيدا عن الناس ، يشرب كثيرا من اللبن ، ويقضى الوقت فى النزهة والهدوء والنوم الطويل والأكل الطيب ، ينتعل أحذية الجبليين الخشبية التى تحفظ الدفء فى الأقدام ، ويرتدى ملابس القرويين السميكة .. عيشة رغدة ، الى أن مر به هذا الرجل عابر السبيل فاضاع منه الهدوء . كان نبأ مثول وانجن أمام محكمة الجنايات طعنة وجهت الى قلبه تفتحت لها الجراح القديمة . وحاول أن يطفىء هذه الجمرة فى صدره . ألم يكف ما عاناه بسببها من آلام حتى الآن ؟.

وفى الليل ، حينما يعانده النوم كان يحاول ان يتذكر العطف الذى احاطه به أبوه اثناء مرضه . ولما لم يفلح فى طرد شبح نوربى من ذهنه بهذه الوسيلة ، انصرف الى التفكير فى جمال الفتاة التى تسكن مثله الآن كوخا فى الجبل . ما كان اجملها فى تلك الأمسية التى راقصها فيها طويلا ، وندم على سنوات الشباب هذه التى قضاها منكبا على الكتب ، بعيدا عن اللهو والمسرات .

فى اليوم التالى ذهب للتنزه فى أعلى الجبل ، ومن هناك وقف ينظر الى كوخ الفتاة فى الجانب الآخر من البحيرة .. وقال فى نفسه :

– ربما كان وانجن اليوم فى السجن يقضى عقوبته ظلما ..

ولـكنه عاد ينظر الى الكوخ هناك وقد تصاعد من سـطحة دخان خفيف . لعلها الآن تعد الطعام لنفسها . ولم يشعر بانه وحيد في عزلته هذه وسط الطبيعة وبين احراش الجبل . انه على مقربة منها وهى على مقربة منه ويبعدان عن البلدة بعدد كبير من الفراسخ . هل يذهب لزيارتها ؟ . لا بل ليترك اللقاء بينهما لصدفة تسنح فوق صفحة البحيرة .

وكثيرا ما ذهب لصيد السمك على شاطىء المـاء ، ولكنه لم يصادفها مرة واحدة . انه يحس الحاجة الى التفكير فى هذه الفتاة لكي لا يخيم فى رأسه التفكير الآخر .. التفكير الحزين فى وانجن ومأساته . وفى احـدى الأمسيات ذهب الى جزيرة صغيرة فى وسط البحيرة ، وأوقد فيها نارا كبيرة ، ولـكنه لم ير على صفحة المـاء الهادىء القارب الذى توقع قدومه . الشواطىء الصامتـة وحدها هى التى ظلت تنظر اليه ..

وفى احد الأيام توقف امام الكوخ قروى ، علم اينار منه ان وانجن قد حكم عليه بالسجن لمدة عام كامل ، وان العقوبة شددت عليه لأنه استخدم فى دفاعه امام المحكمة رسالة اصطنعها بنفسه . واستمع الفتى الى حديث القروى وهو جالس على عتبة الـكوخ بلا حراك ووجهه خلف كفيه . كيف يجرؤ بعد اليوم على مواجهة الناس وعلى متابعة دروسه فى الوسط الجامعى ؟ .

فى المساء ذهب اينار الى قاربه على حافة البحيرة : وبدا له العالم مظلما ، رغم الطبيعة المشرقة من حوله ، حتى لقد فكر فى ان يلقى بنفسه فى المـاء بدلا من تحمل العار والخزى على هـذه الأرض . ولـكن صورة الفتاة تمثلت فى مخيلته ، ورآها تزداد سموا بقدر ما يزداد هو انحطاطا ، حتى لـكأنها تقف فى المرتفع

العالى ، وتمد نحوه ذراعيها لتنقذه مما هو فيه . وراح يحدق في بطء فتنساب المياه الصافية تحت سماء الأصيل الوردية .. وتنعكس على صفحة المـاء مناظر الخضرة الخلابة من حوله .. واحس بنفسه وكانه فى عالم مسحور .. فطوى المجداف وترك القارب يسير كما شاء له المـاء ، واخذ يتطلع الى الطبيعة الفاتنة وأحس بأن العالم كله يرفل فى الهناء ؛ لقد بدأ اينار يفهم ما هو الحب ..

(٧)

بعد ذلك باحد الأيام ؛ وكان يوم سبت ؛ خرجت مدام نورا ليدارند من بيتها واتجهت الى مدرسة البلدة ، التى يديرها ناظرها هيجن ؛ ويعمل فى نفس الوقت مدرسـا فيها هو وزوجته .. وعندما وصلت مدام نورا الى المدرسة كان هيجن فى احدالفصول فاسرعت زوجته تستدعيه ..

واجتمع الثلاثة فى احدى القاعات حـول كئوس البورتو .. قالت مدام نورا :

ـ نعم . جئت اليوم اعرض عليك عرضا هاما .

ونظر هيجن الى زوجتـه فى انتظار ما تقوله الزائرة التى ابتسمت واسترسلت فى حديثها :

ـ انى اشير الى الحوادث التى وقعت اخيرا فى البلدة . لقد كان ذلك مؤسفا ومخجلا لنا جميعا .

قالت مدام هيجن :

ـ نعم .. نعم ..

وعادت مدام نورا تقول :

ـ مع ذلك ، فقد نالنا نحن الثلاثة ما يكفينا . فكان نصيبي غمزات قاسية في الجريدة ، لأنني اخللت بقواعد الذوق حينما فكرت يوما في ايواء واحد من ابنائهما عندي .. وانت ايضا يا هيجن وزوجتك لقد اصابكما شيء من اللوم لاتخاذكما موقف الحياد في هذه القضية .

وتوقفت مدام نورا لتطلق ضحكة ، فقال هيجن ، وهو يمر باصابعه خلال لحيته :

ـ يا له من مسكين !..

ـ حقا .. انه جدير بالشفقة .. ولكننا لسنا هنا للحكم على وانجن ، ومادمنا نعيش في مجتمع له نظامه ، كان لنا ان نطمع في بعض الحماية .. فلا يجوز لأحد ان يتصرف كما تصرف وانجن .

هزت مدام هيجن راسها مرة اخرى وقالت وهي تنظر الى زوجها :

ـ اما هذا ، فلا ، بطبيعة الحال .

ـ لقد كان نوربي بحق اكثر من متألم في كل ما حدث .. لا شك في ذلك .. لهذا جئت أعرض عليكما : يا صديقاى .. أن نقدم له ترضية في صورة من الصور .

قام هيجن ، واخذ يحشو غليونه في بطء ، ثم يشعله في تؤدة ، واخيرا سأل مدام نورا :

ـ حسن .. كيف تريدين أن يتم ذلك بالضبط ؟

ـ هل رايت كيف يفعل رجال السياسة مثلا عندما يتعرض واحد منهم لحملة ظالمة ؟ انهم يقيمون له حفل تكريم او يولون له

وليمة .. وارى ان فى استطاعتنا أن نعمل شيئا من هذا القبيل لنوربى .. شيئا بسيطا قدر المستطاع .

تبادل هيجن مع زوجته نظرة سريعة ، ثم قال وعلى وجهه ابتسامة الحرج :

ـ طبيعى ..

وساد صمت لم تشأ مدام نورا ان تتركه يطول فاسرعت تقول :

ـ فى الواقع .. ألست تظن انت ايضا ان الحق كان فى جانب نوربى ؟..

قال هيجن وهو يهز رأسه ، وكأنه لا يريد ان يعرب عن كل ما يدور فى خلده :

ـ طبيعى .. طبيعى ..

وقالت مدام هيجن مؤيدة :

ـ بالتأكيد .. لقد قال زوجى منذ اليوم الأول ان وانجن ، فى نظره ، هو المذنب .. ولزوجى قدرة عجيبة فى الحكم على مثل هذه الأشياء ..

وعادت مدام نورا تقول :

ـ حسن . أرجو الا تحول بعض الخلافات القديمة دون انجاح هذا المشروع .. يجب علينا ان نعرف كيف نقدر الآخرين ، حتى ولو لم يشاركونا دائما نفس الآراء ..

اسرع هيجن يصدق على كلامها :

ـ انى أفكر كما تفكرين انت بالضبط ، يا سيدتى العزيزة .. وفيمن فكرت أيضا من اجل هذه الحفلة ؟.

ـ سوف يشترك فيها كل من يريد . السلطات والفلاحون

والكل بغير استثناء . اليس جميلا أن ترى ؟ ولو لمرة واحدة نخبة من الموظفين ورجال الريف يمدون ايديهم بعضهم الى بعض فى تعاون جميل . الم يحن الوقت بعد لاثبات أن الدين والوطنية ليسا فى قلوبنا كلمات جوفاء ، وان لدينا القدرة على بذل العون لأحد اخواننا متى دعته الحاجة الينا .

ـ هل تأثر نوربى كثيرا بما حدث ؟»

قالها هيجن وعلى وجهه علامات الاشفاق ، فردت عليه مدام نورا :

ـ لا أدرى .. ما اشد كبرياء هذا الرجل ! . لا اظن انه يشكو . لقد اشاعوا عنه الشائعات الكاذبة ، واتهموه بأكل أموال الأرملة التى وضعت تحت وصايته . وهكذا تجرى الوشايات والاكاذيب الى بعيد ، حتى لقد كتب لى اخى اليوم من برجن ليسألنى عن صحة ما يقال بهذا الصدد . الا تظن ان ذلك يسىء الى الرجل ؟ .

وتدخلت مدام هيجن فى الحديث فقالت :

ـ يا الهى ! ما أسرع انتشار الشر فى هذا العالم .

وعادت مدام نورا تقول فى حماس :

ـ هناك على كل حال امر لا يختلف فيه اثنان ، وهو انه لا يوجد فى البلدة كلها صاحب عمل اطيب قلبا من نوربى ، يعامل خدمه القدامى وعماله كما يعاملهم نوربى ؟ .

واسرع ناظر المدرسة يؤيد هذا الرأى ، وقد تأثر له كثيرا ، وقال :

ـ بالتأكيد .. سأكون من بين الحضور انا ايضا ..

ـ حسن .. حسن .. ولكن هذا لايكفينى . يجب ان تلقى أنت الكلمة . فما من أحد يجيد الخطابة مثلك .

واحمر وجه هيجن وأسرع يقول :

ـ كيف ؟ . انا ؟ .

وانتهى الأمر بينهم جميعا على الاتفاق حول الحفل ، وعلى أن تشرب مدام نورا ليدارند عند الاقتضاء نخبا فى صحة مدام نوربى . وانصرفت نورا سعيدة بما دبرت . فما بقى بعد ذلك يسير سهل الاعداد .

لم يدر نوربى شيئا عن مشروع مدام نورا . وراح يعوض ما فاته من عمل اثناء شغله بقضية وانجن . فأخذ يرتب حساباته وينظم شئونه ويستعيد عاداته القديمة . وبعد ساعات طويلة من العمل خرج الى الشرفة يدخن غليونه ويستنشق النسيم . واذا بابنته انجيبرج تجىء اليه باكية لتخبره بموت الخادم العجوز . فطوى الغليون فى جيبه وسار الى حيث ترقد جثة الخادم ، ووقف ينظر اليها برهة وهو يتكلف الحزن . ثم انصرف .

وفى اليوم نفسه صعد نوربى الى أعلى التل حيث البيت الذى تسكنه أرملة لارس كرنجن ، وحيدة ، بعد موت زوجها . واذ رأته المرأة العجوز قادما ركبها خوف شديد . ها هو ذا قادم ليأخذ منها البيت ويطردها منه الى عرض الطريق . دخل نوربى وهو يحنى رأسه ليمر من الباب القصير . وجلس وعصاه بين ركبتيه ،

ـ كيف الحال : .

ـ اما عن الصحة ، فلا بأس ولله الحمد . ولكننى أخشى قدوم الشتاء . .

ـ اصغى الى اذن . . لقد ماتت خادمنا العجوز اليوم . وغرفتها هناك اصبحت خالية الآن . فاذا شئت أمكنك الاقامة فيها ما بقى لك فى هذه الحياة . . سيتم تنظيف الغرفة ، ومن غد ستكون معدة لاستقبالك . اظن ان لديك بقرة وبضع دجاجات . أليس كذلك ؟ . خذيها معك . . فهى لن تضايق أحدا . .

ضمت المرأة العجوز يديها الى صدرها ونظرت اليه فى ذهول ، ثم انخرطت تبكى من الفرحة والامتنان . وأسرع نوربى بالانصراف ؟ فهو لا يحب رؤية الدموع . وهو لم يكن ينوى ، عندما جاء ، أن يأتى عملا يستحق عنه الشكر أو الجزاء ، وانما كان يبحث عن خادم .

وحينما عاد نوربى الى بيته ، وجد نورا ليدارند تنتظره فى البهو . قالت له ان نصف أهل البلدة وفى مقدمتهم الرسميون فيها يكتتبون فيما بينهم ليقيموا له وليمة وحفل تكريم .

ضحك نوربى وقال :

ـ هكذا ! . هكذا ..

ولم يشأ أن يصدق ما سمع فى أول الأمر ولكن حينما طلبت اليه نورا أن يحدد اليوم الذى يناسبه لذلك ، تنهد طويلا واخذ يفكر . ان الأمر يبدو جدا لا مراء فيه .. وأخيرا قال بعد فترة صمت :

ـ حسن .. حسن .. ولكننى لا أستطيع حضور اية حفلة مهما كانت ، ما دام فى المزرعة ميت .

نظرت اليه زوجته فى دهشة . ولكنها فهمت لتوها انه لن يغير ما استقر عليه رأيه مهما أبدى له من أسباب . وانصرفت نورا ليدارند وهى تعجب كيف لم يتأثر نوربى لهذه اللفتة الكريمة . ما أشد كبرياء هذا الرجل !.

- ٨ -

أخيرا تمكنت مدام نورا ليدارند من تحديد يوم لاقامة الحفل ، وانهمكت فى اعداد العدة .. لذلك اتفق الرأى على عدم تقديم المشروبات الكحولية حتى لا يشتعل الحماس ولا يزداد التهور بين

المدعوين . لن تحوى المائده غير عصير الفواكه واللبن . وأعدت مدام نورا من بين منظمة الشباب فرقة للتمثيل تظهر أمام الموجودين بعد الطعام . وراحت تزين جدران قاعة البلدة الكبرى بكل ما يليق لهذه المناسبة .

ولما حل اليوم المعهود كانت مدام نورا ، التى قامت بالجهد كله ، متعبة مشدودة الأعصاب . ولكنها علمت فى منتصف النهار أن مدام وانجن ما زالت ملازمة الفراش . فقررت بينها وبين نفسها الا تحضر حفل المساء قبل زيارة هذه المرأة التعسة ، وتعرض عليها الاقامة فى بيتها ، هى واولادها ، الى أن يجد جديد . وأسرعت الى البيت الصغير القابع وسط اشجار الصنوبر ، فوجدت نوافذه مغلقة والكآبة ضاربة اطنابها من حوله . عثرت فى جوار البيت على خادم تستخرج الماء بالدلو من احد الآبار فسألتها :

— أين مدام وانجن ؟ .

— انها هنا ، مستلقية فى احدى الغرف بمخزن الغلال .

— هل استطيع الدخول اليها ؟ .

هزت الخادم راسها . ان مدام وانجن ترفض مقابلة احد ؟ وقد ردت عن بابها القسيس ، ثم الطبيب . أصرت مدام نورا وقالت فى رجاء للخادم :

— هلا تكرمت على بالذهاب اليها واخبارها انى انا التى أريد رؤيتها ؟ .

أخذت الفتاة الدلو وابتعدت ، وبعد لحظة ظهرت امام الباب ؟ تهز رأسها ثانية .. ان مدام وانجن مازالت راغبة عن رؤية أحد . ولكنه قامت من فراشها تريد الذهاب لرؤية اطفالها اليوم .

— ولكن ما الذى سوف تفعله الآن ؟ . وكيف تكون معيشتها ؟ .

ردت الخادم قائلة :

— شيء لا يعلمه الا الله .. لم تفصح عنه لأحد .

كانت العبرات تملأ عيني نورا ليدارند حينما عادت الى بيتها .
مما لا شك فيه أن حفل التكريم المقام لنوربى سيصيب مدام وانجن
بجرح دام . ولكن لا حيلة في الأمر . فجزاء الجريمة هو العقاب ..
ومن حق البرىء أن يهنأ ببراءته .

في مغرب ذلك اليوم التقت العربات على الطريق الموصل الى
قاعة البلدية الكبرى ، بامرأة طويلة شاحبة تسرع الخطو وقد أحنت
رأسها . انها مدام وانجن في طريقها الى حيث يأوى أطفالها ..
وانتحت المرأة الشابة بعيدا عن سير العربات وجلست على حجر
مسندة رأسها الى كفيها . ها هي مياه البحيرة الهادئة منتشرة
أمام عينيها تنعكس على صفحتها السماء بما فيها من سحب
حمراء . سترى أطفالها الصغار بعد حين . ثم بعد ذلك الى أين
المصير ؟ . هل تستطيع مواجهة نفقتها ونفقتهم ؟ . هل تقدم على
ما يجول في خاطرها في تلك اللحظة الأليمة ؟ . لا .. لا .. لتطرد
هذه الفكرة الآثمة من رأسها ! . لتكف عن التفكير ، والا أصابها
الجنون وحرمت حتى من رؤية الأطفال الأبرياء ! .

لقد وصلتها في ذلك اليوم رسالة من زوجها السجين ، يطلب
منها الصفح ويلتمس منها الرضاء . ولكنها أعجز من أن تثق الآن
في براءته .. لو انه صارحها ، هي على الأقل ، منذ اللحظة الأولى
بالحقيقة كاملة ! . والآن ؟ . لقد كان ابوها على حق .. ها هي
سيول الظلام تنتشر من حولها .. قامت مسرعة ، تنفض الأفكار
السوداء عن رأسها . وأسرعت لكى ترى أطفالها قبل حلول الليل .

العربة الجميلة تغادر مزرعة نوربى وفيها ابنتاه جالستين أمام
والديهما وقد اختار اينار لنفسه مكانا الى جوار الحوذى . فقد
عاد اينار الى البيت فجأة . بعد أن فشل في الالتقاء بابنة الطبيب
سواء في غابات الجبل أو فوق مياه البحيرة . وبعد أن علم أن فتاته
قد غادرت التلال العالية الى منزل أبيها ، لم يعد يطيق المقام في
الجبل ، وازداد حنينه الى رؤيتها ليعرف مشاعرها منه .

عاد اينار الى البيت اذن ، وأحس بالهدوء الشامل من حوله

وسر كل السرور للحفل الذي يقام تكريما لأبيه . وتبددت الشكوك التي طالما سممت حياته من قبل . ها هو ذا الآن في مقعده العالي ، الى جوار الحوذي ، يرنو بعينه الى العربات الأخرى المتجهة نحو قاعة البلدية الكبرى ، لعله يرى فتاة أحلامه بين القادمين .

وكانت ماريت نوربي في كامل زينتها ، جميلة بقبعتها الزاهية وثوبها الحرير . أما كنوت فلم يكن راضيا كل الرضى . لقد تجسم في ذهنه الاعتقاد بثبوت حقه حتى اصبح لا يعني كثيرا بشعور الآخرين نحوه . بل لقد تساءل :

ــ الا يمكن أن يكون هذا الحفل الذي يقام من أجله اشفاقا به وعطفا عليه ؟ .

على أن الابتسامة الخفيفة لم تفارق شفتيه وهو يرى رتل العربات المسرعة الى مكان الاحتفال . وانصرف تفكيره الى خصمه اللدود هرلوفسن ديرود .. هل سيكون بين الحاضرين يا ترى ؟ .

وعندما دخلت عربة نوربي الى فناء مبنى البلدية ، أبصر ايفار عربة الطبيب الصغيرة ذات المقعدين وهي تنصرف ، فأيقن أن الفتاة لم تحضر وان العربة لم تقل الا الطبيب وزوجته . فخابت آماله التي ظل يغذيها طوال الأيام والليالي ، وتساءل :

ــ هل بي من حاجة الى حضور الحفل الآن ؟ .

في مدخل الشرفة ، وبين علمين مرفوعين ، وقف عمدة البلدة والى جواره مدام نورا ليدارند لاستقبال المحتفى به . وصعد ايفار الدرج في بطء خلف أبويه .

كانت هناك لورا الجميلة ، ابنة الطبيب في ثوبها الحريري الذي ارتدته اليوم للمرة الأولى . وقد احمرت وجنتاها عندما التقى نظرها بنظر ذلك الشاب الحليق الوسيم الذي وقف في وسط القاعة مسلطا عليها عينيه . انه ابن العمدة الذي انهى منذ أيام دراسته العليا في زراعة الغابات ونال اجازة التخرج . وأخذ قلب الفتاة يدق في صدرها وهي تتساءل :

ــ هل هو الذي سيصحبني الى المائدة ؟ .

- ٩ -

دخل نوربى القاعة وكان اول شىء لاحظه هو عدم وجود هرلوفسن فى الحفل . ولكن كبار الرجال الرسميين كلهم كانوا هناك واقبلوا عليه مسلمين محيين .

اخذ المدعوون — فى ثيابهم الفاخرة — يروحون ويجيئون فى ارجاء القاعة الواسعة ذات النوافذ العالية المطلة على البحيرة ، والتى تتلاعب من خلالها أضواء الشمس الغاربة . ومن الخارج يأتى صوت العربات ، بعضها ينصرف بعد أن أقلت كثيرا من المدعوين الى الحفل ، والبعض الآخر يقبل بجماعات جديدة أخرى .

فجأة احس نوربى بيد تجذبه من طرف ردائه . فالتفت ورأى صديقين من أصدقائه القدامى يعملان فى الزراعة فى وديان الشمال ، وكانا ضمن هيئة المحلفين فى قضية وانجن أمام محكمة الجنايات . صرخ نوربى وهو يشد على يدى الرجلين بقوة :

— كيف ؟ . أنتما هنا ؟ . لم أكن أحسب أن أناسا يأتون من مثل هذا البلد البعيد ! .

فقالا :

— ان مقالا ظهر فى الجريدة ، بايعاز لاشك فيه من وانجن ، وفيه اتهام لأعضاء هيئة التحكيم بالتحيز الصارخ فى القضية ، وقد ثارا غضبا لقراءة مثل هذا الكلام ، وقررا حضور الحفل .

انقطع الحديث بينهما حينما جاء من يدعو نوربى الى احتلال مكانه فى صدر المائدة . وجلس الرجل تحف به زوجته من ناحية وزوجة القاضى من الناحية الأخرى . وجال بنظره فى المدعوين رجالا ونساء بملابسهم الزاهية ، ثم مال على زوجته وأسر فى أذنها :

ـ كأننا فى يوم الاحتفال بيوبيلنا الفضى تماما ! ».

وعندما قدم المدعوين اللون الأول من ألوان الطعـام اشتبك آينار نوربى فى نقاش سياسى مع جاره ، ولم يلبث بعض المدعوين أن انضموا الى النقاش . وتحمس اينار ، وفجأة أحس وكأن لكمة شديدة هوت عليه وصوتا يقول له :

ـ كيف تقسو فى الحكم على الناس ، يا اينار ، وأنت البطل الخائب الذى يثير جعجعة بلا طحن ! .

فاحنى راسه وعلت وجهه الحمرة وصمت عن متابعة الكلام ».

ولمـا قدم الشواء على المائدة ، قام ناظر المدرسة واقفا وضرب على الكوب أمامه . لقد حانت اللحظة العظيمة لمدام نورا ليدارند ، واخذ قلبها يدق فرحا وفخرا . ها هو ذا هيجن يستعد لالقـاء كلمته تكريما لخصمه نوربى الذى طالما ناصبه العداء ، ومالت على الجالسين الى جوارها تقول وهى تشير الى هيجن :

ـ انه رائع .. أليس كذلك ؟ .

توقفت الملاعق والشوكات ، واتجهت الأنظار الى هيجن ، الذى راح يلقى خطابه فى صوت يسوده التأثر ، قال ان هذا الحفل يعتبر حادثا عظيما للبلدة كلها ، فلم يحدث قط من قبل أن اجتمع مثل هذا العدد الكبير من الأعيان والرسميين على اختلاف مراتبهم من أجل هدف واحد ، هدف شريف نبيل . فعلى الرغم من الخلافات الداخلية التى تمزق البلاد ؛ وعلى الرغم من الحزازات الحزبية التى تفرق بين المواطنين ، جاء هذا الحفل مؤذنا بفجر جديد ، ومبشرا بعيد يكون فيه النرويجيون جميعا يدا واحدة وقلبا واحدا متحابين ، متساندين ضـد قوى الشر ، متعـاونين فى نصرة كل من أصـابه الظلم . فمهما كانت عقيدتنا الدينية ومهما كانت ميولنا السياسية فهناك حقيقة يجب ان نسلم بها اليوم ، حقيقة تقول ان كل ما يمس الانسان فى ذاته يبقى فوق مستوى المتنازعات العقائدية .. واذا حدث مثل ما حدث أخيرا أن رجلا مثل نوربى تعرض للمهانة ظلما

وناله ما ناله من اهـانة بغير جريرة ، وجب علينا أن نقف جميعا حوله وقفة الأخ للأخ ونقول له :

« ها نحن معك يا كنوت نوربى ، نحن أخوتك وأخواتك نمسح عنك العار وندفع عنك الأذى والضرر .. ها نحن ..

ساد الصمت طوال هـذا الخطاب المؤثر ، ولم يسـمع غير شهقات مكتومة أطلقتها مدام هيجن ، التى من عادتها أن تبكى تأثرا فى كل مرة تستمع فيها الى زوجها وهو يتكلم خطيبا .

لم تلبث الأعين أن انصرفت عن هيجن الخطيب ، واتجهت الى طرف المـائدة الآخر حيث تجلس مدام نوربى تبتسـم الى جوار زوجها ، الذى راح يهز رأسه تواضعا وكأنه يقول :

ـ لا .. لا .. هذا كثير يا هيجن ! .

انتهى الخطاب وقام المدعوون يصيحون :

ـ يعيش .. يعيش .. يعيش نوربى وزوجته ! ».

وبعد أن عادت الملاعق والشوكات تعمل عملها لبرهة ، قامت نورا لتشرب نخب ماريت نوربى . وبان التأثر على وجه ماريت واغرورقت عيناها بالدموع . وتحدثت نورا عن شجاعة مدام نوربى ونبل طبـاعها ، وعما عانته من آلام وهى تقوى عزيمة زوجها فى فترة الضيق والحرج التى مرت به ، وفى الوقت نفسه ترعى ابنها المصاب بمرض خطير . انها بطولة نسائية وعمل فدائى من تلك الأعمال التى قلما يحتفل بها والتى تجرى سرا بعيدا عن أعين الناس فى ظل التفانى والتواضع والاخلاص .

وكانت نورا ليدارند بليغة فى كلمتها ، حتى لقد عجبت هى نفسها من هذه البلاغة : ولـكنها كانت تفكر فى أثناء القاء كلمتها فى ابنها جونار الذى يعانى من أزمات السعال الحادة ، ويلازم الفراش فى هذه الفترة ..

وشرب الجميع نخب مدام نوربى ؟ وسط الهتاف والتهليل ؟ وبكت ماريت ، فقد كانت اللحظة مؤثرة حقا . واذا سمع ابناؤ ما قيل عن مرضه ، وعن بطولة أمه ، تأثر هو الآخر : وقام من مكانه الى حيث يجلس أبواه ليمس بكوبه كوب كل منهما .

بدأ الظلام يخيم على الحجرة فأضيئت الأنوار . وعلى الرغم من أن الشراب الوحيد الذى قدم للمدعويين هو شراب الفاكهة ، فقد كان الحبور عاما واخذ الجميع يتبادلون الأحاديث والضحكات فيما بينهم .

ودق نوربى على كوبه فساد الصمت ، ثم وقف ودار بنظره على ماريت أولا ثم على الموجودين بعد ذلك ، وقال بصوت رزين :

ـ أشكركم جميعا باسمى وباسم زوجتى ، واسألكم أن تشربوا معى نخب الرجل الذى لا يمكن ان انساه فى هذا المساء .. نخب رئيس هيئة المحلفين ..

صاحت مدام نورا قائلة :

ـ يعيش الرئيس .. يحيا المحلفون ..

وشارك الحاضرون جميعا فى الهتاف .. وقام صديقا نوربى صديقا طفولته : فعقدا أيديهما واقتربا من نوربى ليحملاه على كفيهما ، ويدورا به حول المائدة تحية له ، كما يفعل الطلبة فى احتفالاتهم .. وقاومهم نوربى ممتنعا فى أول الأمر ، ولكنه انتهى بالتسليم لهما بين ضحكات الجميع وحبورهم . وما أن أعيد نوربى الى مقعده حتى أشارت نورا الى بعض السيدات قائلة :

ـ ومدام نوربى ، أيضا ..

ودارت ماريت على أكف السيدات حول المائدة ، وسط موجة متزايدة من الحماس .. ثم أعيدت الى مكانها بجوار زوجها ومال عليها نوربى يهمس فى اذنها :

ـ أليس عجيبا الا يحضر هرلوفسن هذا الحفل ؟

ـ ليته حضر ليرى !..

وضحكت وضحك نوربى معها .

وعادت الخطب مرة اخرى ، ثم أنشد الجميع وقوفا النشيد القومى ..

وقام القس بورنج بدوره يريد الكلام . ان الكل فى شوق الى الاستماع اليه .. وعمت الدهشة الجميع عندما طلب اليهم ان يذكروا فى اشفاق ورحمة المذنب المسكين القابع فى السجن . لقد تكلم الخطباء الليلة عن ضرورة الالتفاف حول البرىء عزاء له وتكريما ، فهل يعنى هذا ان يترك المخطىء بلا شفقة ولا رثاء ؟ انه أشد حاجة من غيره الى العون والمساعدة .. وزوجته .. ولم يستطع القس متابعة الكلام تأثرا فجلس ، واغرورقت بعض العيون بالدموع ..

وعادت الدهشة عندما دق نوربى على كوبه مرة اخرى يطلب الكلام .. ثم وقف وقال :

ـ أقترح عليكم ان نجمع من بيننا مبلغا لمساعدة مدام وانجن وأنا أفتتح الاكتتاب فى الحدود الضئيلة التى تسمح بها مواردى الضعيفة .. يجب الا ننسى انها الآن طريدة مشردة تعول ثلاثة أطفال ..

ولما عاد الى الجلوس ساد الصمت ، ونظر الحاضرون الى بعضهم البعض ولسان حالهم يقول :

ـ ما أعجب هذا الرجل !.. وما أعجب آرائه !..

بعد تناول الطعام دارت أقداح القهوة على المدعوين وقالت مدام نورا الى القاضى الجالس بجوارها :

ـ هل تدرى لمن يشبه رجلنا العظيم نوربى ؟..

ـ والله .. لا أدرى .. ربما ..

ـ الا ترى فيه شبها من جاريبالدى ، البطل الايطالى العظيم؟..

ـ حقا ، يا سيدتى .. حقا ..

ولم يكن للحديث حول المائدة الكبيرة من موضوع غير بطولة نوربى .. وآثار الجميع مآثر نوربى ومفاخر أجداده وابنائه .. هالة من المدح والتبجيل أخذت تلتف به وترفعه الى مستوى القديسين .. ولكن اينار اخذ يفكر وقد أثارته كلمة الفس بورنج . وتكشفت لعينيه الحقيقة كلها .. أبوه الجالس هناك . أبوه الذى من أجله أقيم هذا الحفل ، وبذل كل هذا الثناء وكل هذا الاطراء .. أبوه هذا مجرم اثيم . هل اصيبت قلوب الناس وأفئدتهم بالعمى ، حتى اصبحت تمجد الجريمة والكذب والبهتان؟ هذا لا يجب ان يكون !.. هل يكفى الحماس المتدفق ، وهل تكفى الكلمات الجوفاء لتغيير الحقيقة ، والباس الذئب ثياب الحمل ؟.. هذا لا يجب أن يكون !.. قد يخطىء الانسان الحكم أحيانا .. ولكن الواقع هو الواقع ، والحقيقة لا مراء فيها .. وبئس العقيدة التى تضفى المجد على المجرم ، وتلقى بالبرىء فى غياهب السجون أو ليس كل ما يقدسه الناس من آراء وسلوك قائما على هذه العقيدة الفاسدة ؟ أو ليس العالم يعج بالظلم والمآسى بسبب تعلقه بهذه العقائد الباطلة ؟.. وهو نفسه .. أليست عاطفة البنوة النقية ، التى يعمر بها قلبه ، هى التى جعلت منه جبانا ؟. يا لها من كلمة قاسية رغم صحتها ! لا .. هذا لا يجب ان يكون.. لا يجب أن يكون ..

فجأة صاح أحد الحاضرين يقول :

ـ ما هذا ؟. انظروا .. هناك فى الحديقة ..

وقام البعض الى النافذة ، هناك على حافة البحيرة التى جللها الظلام ارتفعت هالة عظيمة من النور اللامع ، تلتها هالات اخرى .. طلقات الصواريخ التى أعدها الشباب لاضفاء مزيد من الرونق على حفل تكريم نوربى .. واختلطت الأصوات معلقة على الأضواء المتتابعة الى أن دعى الجميع لحضور التمثيلية التى أعدت

لها العدة مدام نورا ليدارند . وانخرط الجميع بعدها فى الرقص وكانت حفلة شائقة ..

عاد نوربى الى منزله وهو يلهج بحمد الله وشكره .. ومالت عليه ماريت وهى بجواره فى العربة وقالت :

ـ لعل فى ذلك مثلا للناس يدفعهم الى الصبر والجلد والثقة »

فرد عليها نوربى قائلا :

ـ نعم . ولــكن الأمر المهم هو ان يعمل المرء دائما فى شرف وامانة .. انى لأعجب لأناس مثل وانجن يكذبون فى وقاحة امام العدالة وحتى على الله .. لقد فقدوا الضمير .. سامحهم الله ..»

« النهاية »


الدار القومية للطباعة والنشر



الدار القومية للطباعة والنشر

مركز الإشعاع الثقافى في العالم العربى من القاهرة

مكتبات الدار

نيويورك
لندن
الجزائر
بيروت
طرابلس
بغداد
الخرطوم
الاسكندرية
القاهرة

يصدر عنها

روايات عالمية — الكتاب الماسى

مذاهب وشخصيات — من الشرق والغرب — كتب سياسية

كتب قومية

اخترنا للجندى — اخترنا للطالب

دراسات اشتراكية

مجلة الإذاعة والتلفزيون











